

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية  
القاهرة

كتاب  
إسلامية

معالم على طريق السنة  
مسيرة

للأستاذ أحمد عمر هاشم

0173969

يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة

العدد ١٨٦

اهداءات ٢٠٠١

المرحوم الشيخ / احمد علي فايد  
موجه اللغة العربية بوزارة التعليم

# كتب إسلامية

يصدرها

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية  
القاهرة

## معالم على طريق السنة

مسيرة

للكنوز أحمد عشرهاشم

العدد ١٨٦  
السنة السادسة عشرة  
١٥ من رمضان سنة ١٣٩٦ هـ  
٩ من سبتمبر سنة ١٩٧٦ م

يشرف على إصدارها  
محمد توفيق عويضة







## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »

( صدق الله العظيم )

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى

عضوا عابها بالنواجذ » .

( رواه ابو داود والترمذى )





## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على صاحب السنة  
المطهرة ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . . وبعد

فان للسنة النبوية الشريفة منزلة « هامة » في الاسلام ، لانها  
تمثل المصدر الثانى للتشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم ، كما  
تتناول توضيح ما جاء فى كتاب الله تعالى . . وقيل ان نبرز هذه  
المكانة العالية للسنة ، وتوضيح اهم الجوانب العلمية التى تتصل  
بها ، فاننا نرى انه من الضرورى ان نضع بين يدى القارئ بعض  
الحقائق الهامة التى توصلنا اليها من طريق دراستنا للحديث  
النبوى دراية « ورواية » وشرحا وتحليلا ، حتى يقف الباحث عن  
الحقيقة على طلبته ، ويشق بما جاء فى السنة الصحيحة ثقة  
مطلقة ، وهذه الحقائق نوجزها فيما يأتى :

اولا : ان التدوين الرسمى للسنة النبوية وان كان فى القرن  
الثانى الهجرى الا ان السنة كتبت فى القرن الاول ، ودونت تدوينا  
خاصا غير رسمى ، ونحن حين نتتبع طبيعة الحياة العربية يومئذ  
وقبلئذ ، نجد ان العرب كانوا يعتمدون على الذاكرة اعتمادا كبيرا ،  
ولطالما قام الحفظ فيهم مقام التدوين ، من اجل هذا لا نرى بأسا  
فى ان نقول : ان عصر تدوين الحديث بدأ فى عهد الوحى عن طريق  
الكلمة المسطورة والمحفظة . . وواضح ان نهى الرسول صلى  
الله عليه وسلم كان عن الكتابة لا عن الرواية ، وأنه اذن للبعض

بالمكتوبة لما أنس فيهم من عدم اللبس ، ثم كان اذنه بعد ذلك  
بالمكتوبة عند ما تم نزول معظم الوحي وحفظه الكثيرون (١) .

ثانيا : ان لدينا يقينا مطلقا بأن الله تعالى وعد بحفظ القرآن  
الكريم وحفظه فعلا قال تعالى : « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له  
عاقبتون** » وهذا اليقين يفيء علينا يقينا قريبا منه بأن الله سبحانه  
قد حفظ كذلك من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كل حقيقي  
وصادق ليكون بيانا لكسابه الذي يكفل بحفظه قال تعالى : « **ان علينا  
حججه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه** » من أجل  
هذا نرى أن السنة قد قضيض لها من أسباب الدوبق ما لم يحدث له  
نظير أبدا في تاريخ البشر مثل « علوم الحديث ، والجرح والسعديل ،  
وجهاد الأئمة : كالبخارى ومسلم وأخوانهما » وما بذلوه في سبيل  
استخلاص الأحاديث الصحيحة حتى وصلت إلينا بأدق الطرق  
العلمية . . والله أسأل أن يوفقنا لخدمة القرآن والسنة وأن يجعل  
هذا العمل خالصا لوجهه وأن يجزيينا عنه مغفرة لى ولوالدى وسائر  
المسلمين .

## المؤلف

---

(١) انظر كتابنا : السنة النبوية في القرن الثالث الهجرى .



ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان منكىء على أريكة يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحذوه . وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلئ ، ولا كل ذئ سب من السباع ، ولا لقطه معاهد الا أن يسئفنى عنها صاحبها ومن نزل بمقوم فعليه أن يقرؤه فان لم يقرؤه فعليه أن يعقبهم منل قراءه (١) .

ولقد حاول اعداء السنة — قديما وحديثا — أن يسيدلوا على دعواهم الزائفة بخبر موضوع لا أساس له وهو : « اذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله . فما وافق فخذوه ، وما خالف فامركوه » وقد وضح انه السنة وجه الحق فى هذا . وكشعوا عن كذب هذا الخبر ووضعوه ، وانه قد وضعه الزنادقة لبصلوا الى ما يريدون من تقويض المصدر النابئ للشرع الاسلامى وهو الحديث النبوى الشريف ، بقول ائمة الحديث المنضلعون فى فهمه : عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالقه لانا وجدنا فى كتاب الله : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ووجدنا فيه « قل ان كذمت محبوبون الله فاننعونى يديبكم الله وسعفر لكم ذنوبكم » ووجدنا فيه : « من طع الرسول فقد اطاع الله » . وهكذا يثبت القرآن الكريم أن نأخذ بما جاءت به السنة ، ونحن نتحدى دعاة الباطل أن يأتوا بأية واحدة تدعو أو تقول بعدم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الا فيما صرح به القرآن الكريم ؟ وانه لا سبيل الى بيان القرآن فصلا وتوضيحا الا عن طريق السنة لبيان أسباب النزول ، ومعرفة توضيح الميهم ، وتفصيل المجمل ، وتقيد المطلق ، وغير ذلك . . ولشدة الحاجة الى السنة ، عنى ائمة الحديث بالسند والمنن ، وقدموا دراسات مسفيضة فى الرواة وتاريخ ميلادهم ووفانهم ومكانهم ، لمعرفة امكان السماء أو عدم امكانه ، ونقدوا السند والمنن بتمحيص شديد وتوثيق بالغة لا مثيل له ، فقد نظروا الى السنة النظرة اللائقة ، ففيها بيان لأصول الشريعة وفروعها وتوضيح للقرآن على يد من نزل عليه القرآن كما قال تعالى : « وآزانا اليك الذكر اتين الناس ما نزل اليهم ولعلمهم بنفكرون » .

١ (١) رواء أبو داود فى سنته .

## مفهوم السنة

تعرف السنة عند أهل الحديث : بأنها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته وسيره ومغازبه وبعض أخباره وبهذا يتبين لنا أن للسنة النبوية الشريفة أنواعا كثيرة :

**فمنها ما كان قولاً وهو أكثر أنواعها ، ومثاله : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس اتقوا الله وأكملوا في الطاب فان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان أبطأ عنها ، فاتقوا الله وأكملوا في الطاب خذوا ما حل ودعوا ما حرم » .**

**ومنها السنة الفعلية ، وهي أفعاله صلى الله عليه وسلم التي رواها الصحابة عنه ، مثل أدائه الصلوات الخمس بأركانها وسننها وهيئتها وأدائه مناسك الحج والصوم والزكاة وغير ذلك من أعماله الشريفة صلى الله عليه وسلم ، ومن أمثلة السنة الفعلية ما أخبر به الصحابة وأمهات المؤمنين عن أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله ، مثال ذلك : ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلا قبل أمرانه وهو صائم فوجد من ذلك وجدا شديدا فأرسل امرأته تسأل عن ذلك فدخلت على أم سلمة أم المؤمنين فأخبرتها فقاتلت أم سلمة : « أن رسول الله يقبل وهو صائم فرجعت المرأة الى زوجها فأخبرته ، فزاده ذلك شرا ، وقال : لسنا مثل رسول الله يحل الله لرسوله ما شاء فرجعت المرأة الى أم سلمة فوجدت رسول الله عندها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**

« ما بال هذه المرأة ؟ فأخبرته أم سلمة . فقال : « ألا أخبرتها أني أفضل ذلك » ؟ فقالت أم سلمة قد أخبرتها فذهبت الى زوجها فأخبرته فإرادته ذلك شرًا وقال : ليسنا مثل رسول الله ، يحل الله لرسوله ما شاء فعضب رسول الله ثم قال : « والله اني لأبغضكم لله ولا أعلمكم بحدوده » (١) .

٣ — **القسم الثالث :** « السنة التقريبية » وهي ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم مما رآه من بعض الصحابة ، فغسلًا كان أو قولًا . بان يقع ذلك في حضرته فلا ينكره ، بأن بسكت عنه ، أو بوافق عليه مظهرًا لاسيحمانه وتأييده ، فبعد ذلك اقرارا ، من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه انه خرج رجلا في سفر وليس معه ماء فحضرت الصلاة فبينما يصلي طيبا ، فصليا تم وجدا المساء في الوقت فاعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم بعد الآخر ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له فقال للذي لم بعد : « أصبت السنة » وقال للآخر : لك الأجر مرتين » (٢) .

## النسبة بين السنة ، والحديث ، والخبر ، والحديث القديسي

سابق بيان ان المراد بالسنة هنا ما أرادته المحدثون ، وهي مرادفة للحديث عند جمهورهم وهذا هو الذي سنسبر عليه في جنيع بحوثنا من رسالتنا هذه .

(١) الموطأ ص ١٢٤ ط المجلس الاعلى للسنن الاسلاميه ، وقال الرغزاني في شرح الموطأ ج ٢ ص ٩٢ : « وصله عند الرزاق باسناد صحيح من عطاء عن رجل من الانصار » ، ورواه الشيطان : فتح الباري ج ٤ ص ١٢١ ، ومسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٠٥ من حديث عمر بن أبي سلمة ، وأخرجه الايام أحد في المسند بنحوه ج ٥ ص ٤٣٤ ، وفي مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٦٦ قال الهيثمي « رجاله رجال الصحيح » ، وأخرجه الدارمي ج ١ ص ٣٤٥ بنحوه بنحو السند عد الله باني .

(٢) رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري ج ١ ص ٩٣ بحقيق الاستاذ / محمد يحيى الدين ٢ وسبل السلام ج ١ ص ٩٧ ورواه النسائي .

وأما الخبر : فهو عند علماء هذا الفن مرادف للحديث « فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف ، وعلى المقطوع وقبل : الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والخبر ما جاء عن غيره ، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث وبالتواريخ ونحوها أخباري (١) ، وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق ، فكل حديث خبر ولا عكس ( وقد يسمى المحدثون المرفوع والموقوف من الأخبار أثرا إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر ) (٢) .

وأما الحديث القدسي فهو كل قول أضافه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل ، ويسمى حديثنا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره ويرويه عن ربه كما روى الأحاديث ونسبته إلى القدس بمعنى الطهارة والبنزاهة ، ونسب إلى الله ، لأنه صدر عنه تعالى :

### وللعلماء في الأحاديث القدسية رأيان :

**الرأي الأول :** أنها من كلام الله تعالى وليس للنبي صلى الله عليه وسلم إلا حكايتها عن ربه سبحانه ، وذلك لأنها أضيفت إلى الله فقيل عنها قدسية والهيبة وإنها اشتملت على ضمائر النسكلم الخاصة به تعالى ، كقوله : ( يا عبادي . . ) ، وإنها تروى عن الله تعالى متجاوزا بها النبي صلى الله عليه وسلم فثارة يقول الراوي : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ) وثارة يقول : ( قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ) والمعنى فيهما واحد .

**والرأي الثاني :** ( أنها من قوله صلى الله عليه وسلم ولفظه كالأحاديث النبوية ومن قال ذلك أبو البقاء وعبارته : ( أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلي ، وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالالهام أو

(١) تدريب الراوي ص ٦ .

(٢) المرجع السابق .

بالمنام ) واختار الطبيب (١) هذا الرأي أيضا ، وحكمة اضافة الاحاديث القدسية الى الله على هذا الرأي زياده الاهتمام بها ، والتوجيه الى ما احتوته من آداب ومعان ومواعظ ومن بيان لعظمة الله تعالى واظهار رحمته .

**وأرجح الرأي الثاني ، وهو انها من قوله صلى الله عليه وسلم** ولفظه اذ لم ينزل باللفظ من قبل الله تعالى الا القرآن الكريم لتمييزه عن بنية أنواع الوحي بانه معجز من اوجه كثيرة : منها اعجازه اللفظي والبياني ، فلا تصح روايته بالمعنى ، لانه معجزه خالده على مر الزمان محفوظ من التبديل والتغيير قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٢) .

واما رواية الاحاديث القدسية عن الله تعالى واضافتها اليه وانتمالها على ضمائر التكلم الخاصة به سبحانه فهذا على معنى ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام أن يقول للرسول صلى الله عليه وسلم : افعل كذا ، وأمر بكذا . . . فيبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، بالفاظ من عنده ( وما ينطق عن الهوى أن هو الا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ) (٣) .

### الفرق بين الأحاديث القدسية والقرآن :

١ — ان الاحاديث القدسية ما كان لفظها من عند النبي صلى الله عليه وسلم على رأى البعض ومعناها من عند الله بالالهام او بالمنام بوحى جلى أو لا ، وأما القرآن فهو ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى بمعنى : أن ينزل به جبريل عليه السلام بلفظه من عند الله سبحانه فى اليقظة وليس فى المنام ولا بالالهام .

٢ — الاحاديث القدسية تصح روايتها بالمعنى اما القرآن فتحرم قراءته بالمعنى .

(١) قواعد الحديث من ٦٦ .

(٢) سورة الاسراء ٨٨ .

(٣) سورة النجم ( ٣ - ٥ ) .



٣ — الأحاديث القدسية لا يعتمد بقراءتها أما القرآن فيتعبد بقراءته ، ويتعين في الصلاة ولا كذلك الأحاديث القدسية .

٤ — ان القرآن الكريم معجزة خالدة متواتر اللفظ في كلماته وحروفه وأساليبه أما الأحاديث القدسية فليس لها هذا المتواتر ، وليست بمعجزة .

٥ — ان القرآن يحرم على المحدث مسه ، وعلى الجنب تلاوته ومسحه بخلاف الأحاديث القدسية .

### الفرق بين الحديث القدسي والنبوي :

هو أن الحديث القدسي مقطوع بنزول معناه من عند الله تعالى لما ورد فيه من النص الشرعي على نسبته الى الله بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى كذا .. » فلذا يسمى قدسيا ، أما الحديث النبوي فلم يرد فيه مثل هذا النص لأن منه ما هو « توقيفي » مستنبط بالاجتهاد والرأي من كلام الله والتأمل في حقائق الكون وهذا ليس كلام الله ، ومنه ما هو « توقيفي » جاء به الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم فبينه للناس بكلامه وهذا القسم وان كان مرجعه الى الله تعالى اللهم والمعلم الا أنه لما كان من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ووضع كانه حريا أن ينسب اليه ويطلق على القسمين حديثا نبويا وقوفيا بالتسمية عند الحد المقطوع به (١) .

(١) النبأ العظيم للدكتور / محمد عبد الله دراز طبع مطبعة السعادة ص ١٠ ، ١١

## مَنْزِلَةُ السُّنَّةِ فِي الدِّينِ

السنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام أجمع ففقهاء المسلمين فديها وحدينا من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى يومنا هذا الا من شذ من بعض الطوائف على الاحتجاج بها واعتبارها المصدر الثاني للدين بعد القرآن الكريم فيجب اتباعها ونحرم مخالفتها ، وقد ضاعفت الأدلة القطعية على ذلك فأوجب الله سبحانه على الناس طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وبين أنه عليه الصلاة والسلام هو المبين لما أنزل من القرآن ، وذلك بعد أن عصمه من الخطأ والهوى في كل أمر من الأمور (( وما ينطق عن الهوى أن هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى(١) )) كما عصمه من الناس حين أمره بتبليغ ما أنزل اليه قال تعالى : (( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدي القوم الكافرين ))(٢) .

فهو اذا قد مهد لرسوله طريق الدعوة وذل له مهمة تبليغها فبين سبحانه وتعالى للناس ما يأمن :

أولا : وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة النجم ٣ - ٥ .  
(٢) المسائدة ( ٦٧ ) .

تأديا : ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يبين للناس كتاب ربهم سبحانه وتعالى .

وهذان الامران متلازمان في ادبات حجة السنة لآل الله تعالى  
أوجب طاعة رسوله عليه السلام والاسلام لانه : بين للناس ما انزل  
اليهم ، قال الشاذلي : ( ماذا عمل المكلف على وفيه البيان اطاع  
الله عندما اراد بكلامه وأطاع رسوله في مقتضى بيانه . ولو عصى  
على مخالفة البيان عصى الله تعالى في عمله عصى مخالفة البيان  
اد صار عمله على خلاف ما اراد بكلامه وعصى رسوله في مقتضى  
بيانه ) (١) .

وسأناول الحديث عن هذين الامرين وهما وجوب طاعة الرسول  
صلى الله عليه وسلم وبين ان الرسول عليه السلام والاسلام هو  
الذي بين الناس ما نزل اليهم :

**أولا : وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :**

غرض الله سبحانه وتعالى طاعه رسوله صلى الله عليه وسلم ،  
وورد الامر بها في القرآن الكريم على وجوه مختلفة باختلاف احوال  
المخاطبين ومناسبتهم ونبايتهم . فمنهم اليهودي الذي يحاج الى  
كره الأدلة . والمسلم الذي يحاج الى اسلوب التهديد ، والمؤمن  
الذي يقبل الامر ويعرف هداية الله من اقرب طريق . وقد سلكت  
آيات القرآن الكريم في بيان ذلك مسلكا مناسبيا ونهجت منهجا  
حكيميا :

١ — فقد دلت مرة على وجوب طاعة الرسول ، بالامر بالابيمان  
بالرسول « وهذا يستلزم وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه  
وسلم ، من ذلك قوله تعالى : ( يا اهل الكتاب لا تغاوا في بيعكم  
ولا تقولوا على الله الا الحق انها المسيح عيسى ابن مريم رسول  
الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ) (٢)

(١) الموافقات ( ٤ : ١٩ ) .

(٢) سورة النساء آية ١٧١ .

وقال تعالى « فَأَمَّا زَا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ » (١) فالأمر بالإيمان بالرسول مع الإيمان بالله لا يكون إلا إذا كان مع الإيمان نصديق لما يبلغه الرسول عن الله وأذعان وطاعة لهدْيهم وعلى هذا فرسولنا صلوات الله وسلامه عليه يجب الإيمان به الأمر بالإيمان بالرسول وطاعته واجبة كطاعتهم التي استلزمها الأمر بالإيمان بهم .

٢ - ودات الآيات أيضا على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم باقتران الأمر بالإيمان به مع الأمر بالإيمان بالله مدحيه « قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ، وَاللّٰهُ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) (٢) وقد أظهر الله تعالى في هذه الآيات وغيرها مدحانة دينه صلى الله عليه وسلم ، فنص على الإيمان به ، ولم يكتف بالأمر العام السابق رغم دخوله فيه ، وذلك لأن رسالته خاتمة وبعبارة عامة فامتضت الحكمة أن يخص بمزيد عناية ، وبفهم من ذلك الأمر بطاعته قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : ( وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علما لدينه لما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به فقال تبارك ونعالى : ( فَأَمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انتهوا خيرا لكم إنما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد ) (٤) وقال : ( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ) (٥) .

فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ثم برسوله (٦) أ. ه .

٣ - كذلك دات الآيات على وجوب طاعة الرسول صلى الله

(١) سورة آل عمران آية ١٧٩

(٢) سورة النساء آية ١٣٦ .

(٣) سورة المائدة آية ٨ .

(٤) سورة النساء آية ١٧١ .

(٥) سورة النور آية ٦٢ .

(٦) الرسالة للإمام الشافعي ص ٧٣

عليه وسلم بايجاب الله تعالى طاعة الرسل قال تعالى : ( وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ) (١) فطاعة الرسل اذا هي الهدف من ارسالهم ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم كواحد من الرسل داخل في مضمون الحكم العام فينطبق عليه الحكم بوجوب طاعته لاسيما والرسل قبله كانت شرائعهم خاصة بطائفة معينة اما رسولنا عليه الصلاه والسلام فشريعته عامة وخاتمة ، لذا كانت طاعته أكد والزم .

{ — افتران الأمر بطاعة الرسول بالأمر بطاعة الله قال تعالى : ( قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ) (١) وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم يؤمنون بالله واليوم الآخر ) (٢) والناظر الى الآيات الواردة في وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يرى ان منها ما جاء الأمر بطاعة الله مقرونا بالأمر بطاعة الرسول بالعطف بالواو كالآية الأولى حيث يفيد ذلك مطلق الإنشراك والجمع بينهما ، أو بطريق العطف بها مع إعادة العامل حيث يفيد ذلك تأكيد عموم الطاعة في كل ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما جاء بتكرار العامل في شسيتين مع لعطف على الأخير بدون تكرار العامل كتولاه تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » بدون تكرار العامل في عطف أولى الأمر .

وهذا يدل على أن أولى الأمر ليس لهم طاعة مستقلة ، وليس لهم تشريع خاص يصدر عنهم ( وانما يطاعون فيما شأنه أن ينلوه ويباشروه في اطار من الدين الذي شرعه الله قرآنا كان أو سنة ) (٤) فطاعة الرسول اذا واجبة في كل ما أتى به سواء كان في الكتاب الكريم أو ليس فيه .

(١) سورة النساء آية ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ٣٢ .

(٣) سورة النساء آية ٥٩ .

(٤) السنة النبوية ومكانها في التشريع من ( ٥٨ ) .

٥ - أمر الله بطاعة الرسول على الانفراد قال الله تعالى :  
**فَلَا رِيكَ لَا بُرْهَانٌ خَلَّى بِحُكْمِكَ وَبِمَا شِئْتُمْ بِهِمْ بَلَّ لَا يَجْدُوا فِي**  
**أَفْسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْأَلُوكَ تَبْلِيهِمَا** (١) . وقال تعالى  
 (واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) (٢)  
 وقال تعالى : ( وما أمركم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) (٣)  
 ففى هذه الآيات نص صريح على وجوب طاعة الرسول والتسليم  
 لحكمه واتباعه . وهذه الطاعة فى حال حياته وبعد وفاته ، مفعلى  
 حال حياته كان المحابة يثلثون أحكام الشرع من القرآن الذى  
 أحياه عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يبين لهم  
 ما أنزل اليهم ، وحيث كان كذلك يبين لهم كثيرا من الأحكام حين  
 تقع بهم الحوادث التى لم ينص عليها فى القرآن ، فهو اذا كان يطبق  
 لهم لأحكام من حلال أو حرام مما كان محدده القرآن أو الوحي  
 الذى يوحيه الله له ( يأمركم بال معروف وينهاكم عن المنكر ويحل  
 لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال  
 التى كانت عليهم ) (٤) وقد حث الله على الاستجابة لما يدعو له الرسول  
 جدى الله عليه وسلم فقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا استجبوا  
 لله وللرسول إذا دعاكم لما يديكم ) (٥) ولم يبح الله للمؤمن ولا مؤمنة  
 مخالفة حكم الرسول أو أمره قال تعالى : ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة  
 اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن  
 ينص الله ورسوله فقد فضلا مبينا ) (٦) وقد كان المسلمون  
 مدبرين حدود أمره ونهيه ومتسعين له فى عباداتهم ومعاملاتهم وقد  
 باع من طاعتهم للرسول واقتدائهم به أنهم كانوا يفعلون ما بفعل  
 ويتركون ما يترك ولم يجز واحد منهم لنفسه مراجعة الرسول  
 الا اذا كان هناك أمر غريب عن عقولهم فيناقشونه ليعرفوا  
 الحكمة فيه فقط كما لم يجز واحد منهم مراجعة فى أمر ( الا اذا  
 كان قطعه أو قتله احداثا منه فى أمر دنيوى كما فى غزوة بدر حين

- 
- (١) سورة النساء آية ٦٥ .
  - (٢) سورة النور آية ٥٦ .
  - (٣) سورة الحشر آية ٧ .
  - (٤) سورة الاحزاب آية ١٥٧ .
  - (٥) سورة الانفال آية ٢٤ .
  - (٦) سورة الاحزاب آية ٣٦ .

راجع الحجاب ابن المنذر في مكان النزول (١) . ومن هذا انما حدث تطليقا لمبدأ الشورى في الاسلام .

وإذا كان الحال هكذا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه ايضا نجب طاعته واتباع سنته بعد وفاته ، لأنه صلوات الله وسلامه عليه انقل الى الرفيق الاعلى بعد أن اطمأن بما على أنه ارادى معالم الدين وأدى الأمانة الإلهية على منهاج الحق وودى المسلمين أن يطيعوه وينصوه بعد وفاته نهكاً بالكتاب والسنة وسيرا على هديهما كما قال صلى الله عليه وسلم : ( تركت فخرهم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ) (٢) وكما وجب على الدعاة بنص القرآن اتباع الرسول وطاعته في حياته وبعد مماته كما في الحديث السابق ويجب على من بعدهم من المسلمين اتباع سنته بعد وفاته ، لأن النصوص التي أوجبت طاعته عامة لم تقيد ذلك بزمن حياته ولا بمساحته دون غيرهم ولأن العلة جامعة بينهم وبين من بعدهم وهي أنهم اتباع لرسول أمر الله باتباعه وطاعته (٣) لهذا كله تلقى الصحابة السنة النبوية وبلغوها الى من بعدهم .

## ثانيا : منزلة السنة من القرآن وإيرانها له :

نبين من البحث السابق أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وإجابة على المسلمين وانهم تقبلوا منه السنة كما تقبلوا القرآن مستجيبين لله الذي أمرهم باتباع النبي وطاعته . وذلك لأن للرسول صلى الله عليه وسلم مهمته هي التبليغ وبيان ما في القرآن من أحكام وقواعد وغير ذلك فرسالته ليست قاصرة على التبليغ ، وانما لابد مع التبليغ من البيان ، وهو الأمر الثاني في اثبات حجة السنة .

(١) السنة ومكانتها في التشريع ص ٦٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک وفي جامع بيان العلم ومفصله ج ٢ ص ١٨٠ .  
وماوطأ شرح الزرقاني ، والزيغ والترهيب .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع ص ٦٧ .

فالقرآن الكريم جاء بالأصول العامة ، وإم يتعرض للتفاصيل والجزئيات ، ولم يبرع عليها إلا بالقدر الذى يتفق مع تلك الأصول ويكون ثابتاً بثبوتها ، لا بعنونه نغير أو تطور باختلاف الأعراف والسيئات ومرور الأزمان ، لأنه المكاتب الخالد الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، اشتمل على العقائد والشرائع وعلى الآداب والأخلاق مكان تبياننا لكل شيء ، وجاءت السنة الشريفة توافق الكتاب الحريم وتعرض للتفصيلات والجزئيات : ففسرت مبهمه وفصلت مجمله وقيدت مطلقة وخصدت عامه وشرحت أحكامه كما أنت لسنة كذلك بأحكام لم يرد فى القرآن نص عليها وجدت بهذا منهية ومطبقة لما فى القرآن الكريم فكانت مرتسها بعد القرآن . ( وأيضاً فإن لسنة إما أن تكون بينا للكتاب أو زيادة عليه ، فإن كانت بياناً فهى فى الاعتبار بالمرتبة الثانية عن المبين ، فإن النص الأصلى أساس والفسير بناء عليه وإن كانت زيادة فهى غير معتبرة إلا بعد أن لا توجد فى الكتاب وذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب ) (١) وكل ما جاء فى السنة النبوية على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يتبع فيه ما يوحى إليه قال تعالى : **( قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أنى مآل أن أتبع إلا ما يوحى إلى )** (٢) ولهذا جعل الله تعالى طاعة رسوله داعية له ، وأوجب على المسلمين اتباع بيانه فيما يأمر وينهى قال تعالى : **( من يطع الرسول فقد أطاع الله )** (٣) ، وقال : **« وما أناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »** (٤) إذا فالرسول صلوات الله وسلامه عليه حين يبين للناس ما نزل إليهم لا يصدر فى بيانه من تلقاء نفسه وإنما يتبع ما يوحى إليه ، وقد آمن الله تعالى على رسوله بأن أنزل عليه الكتاب . لشرح ما جاء فيه ، ويظهر المراد منه فقال تعالى : **« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »** (٥) . وروى المقدم بن مسعود يكره قال : **« حرم لنبي صلى الله عليه وسلم أشياء يوم خير منها الحمار »**

- 
- (١) السنة ومكانها فى التشريع ص ٤٢٤ .
  - (٢) سورة الأنعام آية ( ٥٠ ) .
  - (٣) سورة النساء آية ( ٨٠ ) .
  - (٤) سورة الحشر آية ( ٧ ) .
  - (٥) سورة البقرة آية ( ٢١٣ ) .



الآلهة وغيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بوشك أن يقعد الرجل منكم على أركبه يحدث حديثي ميشون بنى ويسمى كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله « (١) » .

## وينقسم بيان السنة الى أقسام :

**الاول :** بيان لتقرير ، وهي أن تكون السنة موافقة لما جاء به القرآن ومؤكده له ، ومن ذلك : ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس » شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة والحج ، وصوم رمضان « (٢) فانه موافق قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٣) وقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا كنز عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ) (٤) وقوله تعالى ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) (٥) .

**الثاني :** بيان التفسير لما جاء في القرآن ، وهذا القسم أغلب الأقسام وأكثرها ورودا ، فمنه بيان المجهل : كالأحاديث التي بينت العبادات وكيفيةاتها كفريضة الصلاة مثلا فقد فرضها الله تعالى في القرآن من غير أن يبين أوقاتها وعدد ركعاتها وأركانها وكيفيةها ، فبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذلك كله بحلته وتعليقه .

(١) رواه الترمذي ( ٢ : ١١١ ) وابن ماجه ( ١ : ٥ ) والدارمي ( ١ : ١١٧ ) تحقيق السيد عبد الله بن أبي عمير ورواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ١٣٠ ) وهو حديث صحيح كما قال الترمذي .  
(٢) فتح الباري ج ١ ص ٥٥ ، ورواه مسلم بن طريق سعد بن عبيدة بتقديم الصوم على الحج ج ١ ص ١٥٠ ط الشعب ورواه أيضا بتقديم الحج على الصوم ص ١٥١ ورواه الترمذي ج ٤ ص ١١٩ وقال حديث حسن صحيح ، والمسند ٣٦٤/٤ .

(٣) سورة البقرة ( ٨٣ ) .

(٤) سورة البقرة ( ١٨٣ ) .

(٥) سورة آل عمران ( ٩٧ ) .

الناس وتقال : « صماوا كما رآتهمنى اعمالى » (١) ومثل ذلك في الحجج والزكاد وغير ذلك من العبادات التى وردت في القرآن مجمة وغد لها السنة الذوية . ومن هذا المسم بقيد المطلق : « كالأحاديث التى رتب المراد من البد في قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » (٢) فوحى تحت السنة انها اليد اليمنى وان الفطع من الذراع « من المزمع » (٣) ومن هذا التسم ايضا نخضب بعض العام ، كالأحاديث التى خصت الارث والمورث في قوله تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » (٤) خصت السنة المورث بغير الانشاء فقال صلى الله عليه وسلم : « نحن معتبر الانشاء لا نورث ما تركناه صنقة » (٥) كما حدث السنة الوارث بغير الثابت ، بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : يسى للفل شىء وأن لم يكن له وارث مورثه أقرب الناس اليه . ولا برت التبادل شيئا » (٦) .

**الفتاوى :** ان يكون السنة بأسخه لحكم ثبت بالقرآن على رأى من يجوز نسخ الكتاب بالسمه وهذا مثل حديث « لا وصية لوارث » (٧) فهذا الحديث نسخ حكم الوصية للوالدين والأقربين الوارثين الذابت بقوله تعالى « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين والمعروف حقنا على المنقبس » (٨) والنسخ من قبل البيان لأنه بيان انشاء امد الحكم ولذلك يطلق عليه بعض علماء الأصول ببيان التبدل » (٩) .

- 
- (١) أخرجه البخارى ج ١ ، ص ١٢٥ حاشية السندي ، أخرجه الدارمى ج ١ ص ٢٣٠ - تحقيق السيد هاشمى ٢ وأخرجه الإمام أحمد والنسائى ج ٢ ص ٥٩ . نحوه والشماعى في نسخة ص ١٩ .  
 (٢) المائدة ( ٣٨ ) .  
 (٣) الحديث والمحدثون ص ٣٨ .  
 (٤) سموره النساء ( ١١ ) .  
 (٥) معج الدارى ج ٦ ص ٢٨٩ صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٧٨ ، مسند أحمد ج ١ ص ٣٣٤ شاكرو والموطأ ص ٢٥٤ .  
 (٦) رواه أبو داود في سننه ( ٤ : ٣١٣ ) من طريق محمد بن راشد ، مسند صحيح . ورواه الترمذى ( ٢ : ١٤ ) ، سنن ابن ماجه : ( ٢ : ٧٤ ) .  
 (٧) سبق تحريجه ص ٦ .  
 (٨) سورة البقرة ١٨٠ .  
 (٩) الحديث والمحدثون ص ٤٠ .



## أدلة القائلين بالاستقلال :

استدل ائمتناون بالاستقلال السنة بالتشريع في بعض الامور بأنه قد ورد في القرآن الكريم ما يوجب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه قال تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » (١) وقال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٢) « فدللت آيات على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها يأمر به وينهى عنه ، دون تفريق بين السنة المدينة أو المؤكدة أو المستقلة ، وهكذا كل أدلة القرآن تدل على أن ما جاء به الرسول وكل ما أمر به ونهى فهو لاحق في الحكم بما جاء في القرآن فلا بد أن يكون زائدا عليه » (٣) كما وردت بعض الأحاديث الدالة على وجوب لاحذ بما في السنة من الأحكام كما يؤخذ بها في الكتاب مثل قوله صلى الله عليه وسلم « يوشك بأحلكم أن يقول هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحلناه وما كان فيه من حرام حرمانه الا من بلغه عنى حديث فكذب به فقد كذب الله ورسوله والذي حدثه » (٤) .

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ أحكامه من أى طريق سواء كان بالكتاب أو غيره ، وعصمه من الخطأ فلا يسع من استقلال السنة بالتشريع .

وأما قوله تعالى : « وانزلنا البك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » (٥) فلا نفيد الآية قصر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم على البيان ، بل يستفاد منها ومن قوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » أن الرسول يبين للناس كتاب ربهم وإذا جاوز البيان الى الأحكام الشى لم يتعرض لها القرآن فإنه حينئذ لا ينطق عن الهوى أن هو الا وحى يوحى » وقد صرح بذلك بعض علماء السلف فمن ذلك ما يروى عن عبد الرحمن بن يزيد أنه

(١) سورة النساء ( ٨٠ ) .

(٢) سورة الحشر ( ٧ ) .

(٣) المواينات ( ٤ : ١٣ ) .

(٤) رواه الطراى فى الاوسط عن جابر .

(٥) سورة النحل ( ٤٤ ) .

راى محرماً عليه ثيابه فنهاه فقال : ائتنى بأية من كتاب الله تنزع ثيابى فقرأ عليه « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) .

### أدلة المنكرين بالاستقلال :

وقد اسيدل أصحاب هذا الراى بأن السنة بيان للقرآن ، كما قال نعالى : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وأجابوا عن أدلة القائلين باستقلال السنة بأن الآيات التى يفيد وجوب طاعة الرسول بقصد منها وجوب طاعته فى بيانه وشرحه « ولا يلزم من أفراد الطاعنين تبان المطاع فيه باطلاق فلا دليل فيها على أن ما فى السنة ليس فى الكتاب ، وإذا كانت هناك أحكام زائدة فليست بزيادة بزيادة بل زيادة شىء ليس فى القرآن بل زيادة الشرح على المشرح » (٢) وعلى هذا الراى يكون الأحكام الواردة فى السنة اشتمل القرآن عليها بطريق الإجمال فصح أن تكون السنة بياناً للقرآن عن طريق الإلحاق أو التماس أو استنباط لقواعد العامة من الجزئيات أما الإلحاق فقد ينص القرآن على حل شىء وحرمة شىء آخر ويكون هناك شىء ثالث لم ينص على حكمه وهى أخذ من كل منهما بحرف فيكون ثم مجال للاجتهاد فى إلحاقه بأحدهما فبعطه الذى صلى الله عليه وسلم حكم أحدهما ومثال ذلك : أن الله نعالى أحل صيد البحر فيما أحل من الطليبات وحرّم المبتة فبما حرم من الخبائث فدارت ميتة البحر بين الطرفين وأشكل حكمها فقال صلى الله عليه وسلم : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » (٣) وأما التماس فقد ينص القرآن على حكم شىء فيلحق به الرسول صلى الله عليه وسلم ما يشركه فى العلة قياساً عليه ، ومثال ذلك أن الله تعالى حرم الجمع بين الأخنتين ثم قال : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » (٤) ثم جاء نهيه صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها

(١) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٨٩ ، الحديث والمحدثون ص ٤٤ .

(٢) السنة ومكانتها فى الشرع ص ٤٣٢ بتصرف يسير .

(٣) أخرجه أصحاب السنن : سنن أبى داود بنحوه محمد بن داود بنحوه ج ١ ص ٢١ ، والزمذى ج ١ ص ٤٧ وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه الإمام مالك فى الموطأ ص ٤٣ ط المجلس الأعلى والدارمى ج ١ ص ١٥١ كلهم برواية أبى هريرة .

(٤) النساء ( ٢٤ ) .

من باب القياس كما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا أختها على بنت أخيها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أخيها ولا تنكح الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى » (١) وأما طريق استنباط القواعد العامة من نصوص القرآن الجزئية فذلك بأن نأخذ نصوص من القرآن في معان مختلفة لكن يشملها معنى واحد فبأنى السنة بمنتهى ذلك المعنى الواحد فيعلم أنه مأخوذ من مجموع تلك النصوص ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (٢) فهاتان قاعدتان يؤخذان من الآيات التي تحدث على الإخلاص مثله وله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » (٣) وقوله تعالى : « لا لله الدين الخالص » (٤) وقوله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (٥) .

ويمكن الجمع بين ما ذهب إليه الفريقان بأن الجميع متفقون على وجود أحكام في السنة لم ينص عليها في القرآن ولكن الغائلين بأن السنة لا تأتي بأحكام زائدة عما في القرآن أرادوا أن القرآن اشتمل على جميع الأحكام أجلا أو نفصلا فعلى رأيهم أن الأحكام داخلية تحت النصوص من الوجوه ، وأما القائلون بأنها تأتي بأحكام زائدة فأرادوا بذلك الأحكام التفصيلية التي لم يرد فيها نص صريح فعلى رأيهم أن السنة تستقل بالتشريح لأنها أثبتت أحكاما جديدة ، فكل واحد من الفريقين متفق على وجود أحكام زائدة عما في القرآن وإنما الخلاف في مرجعها فالخلاف إذا لفظي لأن النتيجة واحدة وهى وجود أحكام جديدة سواء سمي ذلك استقلالا أم لا (٦) .

- 
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٥٦٢ ، الموطأ ص ١٧٧ ، الام ج ٥ ص ٤ ، نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٨٥ سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٢٤ ، جامع الرمزي ج ٢ ص ٢٩٧ وقال : حديث حسن صحيح ، وابن حبان بزيادة فانكم اذا نسلم قطعتم أركانكم وهو المعنى الذى حرم الجمع بسببه .  
(٢) فتح الباري ج ١ ص ٩ المسند ج ١ ص ٣٠٢ ورواه مسلم ج ٦ ص ٤٨ والبرهاني ج ٦ ص ٤٨ وهو حديث حسن صحيح .  
(٣) الزينة « ٥ » .  
(٤) الزمر « ٣ » .  
(٥) الكهف « ١١٠ » .  
(٦) الحديث والمحدثون ص ٤٥ السنة وكانت في التشريع ص ٤٢٣ .

## بيان المسنة في غير الأحكام :

وهناك طائفة من الأحاديث النبوية جاءت على سبيل المذلة ،  
وتنبية المكلفين وهدايتهم وخسرت مخرج الفصحى ، منها ما جاء  
موافقاً ومؤكداً لما في القرآن ولا يخلو من بعض الشرح كحديث  
الخضر مع موسى عليه السلام الذي رواه سفيان عن عمرو بن  
سعيد بن جبير قال : « قلت لابن عباس : ان نوحا البكالي يزعم ان  
موسى صاحب الخضر ليس موسى بنى اسرائيل ؟ فقال ابن عباس :  
كذب عدو الله ، أخبرني ابي بن كعب قال : خطبنا رسول الله . . »  
وذكر حديث موسى والخضر بشيء يدل على أن موسى صاحب  
الخضر « (١) اهـ - فهذا الحديث يوافق القصة المذكورة عنهما في  
سورة الكهف .

ومنها ما ورد على سبيل التوضيح كقوله عليه الصلاة والسلام  
« بدعى (١) نوح فيقال هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه  
فيقال : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد  
فيقال من شهودك ؟ فيقول : محمد وأمتي ، قال : فيؤبى بكم  
تشهدون أنه قد بلغ فذلك قول الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة  
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٢)

ومنها ما يرد على طريق الاستقلال ومن أمثلته : « حديث جريج  
العابد وحديث الأبرص والأقرع والأعمى » « حديث الصخرة »  
فهذه الأحاديث وما في معناها جاءت لتأكيد المقاصد التي جاء بها  
القرآن ، وحكمتها تنشيط المكلفين وتنبيه الغافلين « (٤) . اهـ

---

(١) الرسالة للإمام الشافعى ص ٤٤٢ ، ورواه البخارى ج ١ ص ١٦٧  
من مسج الباب ، ورواه مسلم ج ٢ ص ٢٢٧ من طريق سفيان بن عيينه .  
(٢) أخرجه البخارى والترمذى .  
(٣) سورة النورة « ١٤٣ » .  
(٤) الحديث والمحدثون ص ٤٥ .

## حول حجية السنة

من المباحث السابقة ننضح حجية السنة وحيث ان الله تعالى أمر بوجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبين انه الذي يبين للناس ما نزل اليهم ، قال تعالى : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » (١) وقال تعالى : « قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَاوَا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَافِرِينَ » (٢) .

فقد جعل سبحانه التولى عن طاعة الله ، وعن طاعة الرسول كفرا ، لأن من أركان الايمان بالله الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والايمان بأن كل ما أنى به صدق . وعن عمر أن بن حصين أنه قال أرجل : « انك امرؤ احمق ، أتجد في كتاب الله الظهر أربعة لا يجهر فيها بالقراءة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ، ثم قال : أتجد ذلك في كتاب الله مفسرا ؟ ان كتاب الله أبهم هذا ، وان السنة تفسر ذلك » . من كل ذلك يتأكد لنا حجية السنة .

### رد بعض التشبه والطعون :

١ — ذهب بعض أصحاب الآراء الجامحة من الفرق والطوائف الى انكار حجية السنة جملة متواترة كانت أو آحادا مستنديين في

(١) سورة النحل « ٤٤ » .

(٢) سورة آل عمران « ٣٢ » .



ذلك إلى فهمهم السقيم في مثل قوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » (١) وقوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (٢) وأصل هذا الرأي الفاسد — وهو رد السنة والاقتصاص على القرآن أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصاص على القرآن (٣) ونسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فامضوا بآرائكم ، وما خالفه فلم تقله » (٤) كما استدله على عدم حجتها أيضا : بنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة وأمره بمحو ما كتب بها .

### والاجابة على هذه التنبه نتلخص فيما ياتى :

**أولا :** ان قوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » فالمراد والله اعلم أن الكتاب يبين أمور الدين بالنص الذى ورد فيه ، أو بالاحالة على السنة التى نولت ببيانه ، ولا غلو لم يكن الأمر كذلك لتناقضت هذه الآية مع قوله تعالى : « **وانزلنا لك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » .

**ثانيا :** وأما قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فالكتاب هو اللوح المحفوظ بدليل السياق ( وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أهم أمثالكم ) وعلى تقدير أنه القرآن فالمعنى أنه يحتوى على كل أمور الدين أما بالنص الصريح وأما ببيان السنة له .

**ثالثا :** وأما الحديث الذى نسبوه إلى النبي والذى زعموا — حسب ادعائهم — أنه يفيد ضرورة عرض السنة على الكتاب فقد قال فيه الامام الشافعى رحمه الله تعالى : « **ما روى هذا أحد يثبت حديثه** »

(١) سورة النحل « ٨٩ » .

(٢) سورة الانعام « ٣٨ » .

(٣) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة .

(٤) لم يرد بهذا المعنى حديث صحيح ولا حسن ، « وفى عرن المعبود » .

(٥) « ٣٢٩ » فأما ما رواه بعضهم أنه قال : « **إذا جاءكم الحديث .. الخ فامضوا به** » حديث باطل لا أصل له .

في شيء صغير ولا كبير . . . » (١) وذكر الأئمة الحديث أنه من موضوع الزنادقة قال عبيد الله بن مهران : « الزنادقة والأشوارج وضعموا ذلك الحديث وهذه الألفاظ لا تصح عنه صلى الله عليه وسلم عند أهل العام وصحيح النقل من سبقيته ، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العام وقالوا نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل بل شيء ونعتمد على ذلك قالوا فلما عرضناه على كتاب الله وحدثناه مخالفا لكتاب الله ، لأننا لم نجد في كتاب الله أنه لا يقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وافق كتاب الله بل وجدنا كتاب الله مطلق التماسي به والأمر بطاعته ويحذر من المخالفة عن أمره جملة على كل حال » (٢) .

رابعاً : وأما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تدوين السنة فلا يدل على حجبها لأن المصاحفة يومئذ كانت تقتضي بتدوين كتاب الصحابة — وهم قلة — على جمع القرآن الكريم وتدوينه وحفظه أولاً ختمة الضياع وخشيته أن يلبس بغيره على البعض فنهاهم عن تدوين السنة حتى لا يكون تدوينها شاعلاً لهم عن القرآن أو أن النهي كان بالنسبة لمن يوتق بحفظه .

وأخيراً كيف يترك الاحتجاج بالسنة تقتصاراً على القرآن ؟ ولا سبيل إلى فهم القرآن إلا عن طريق السنة الصحيحة التي بها يعلم المفسر أسباب النزول والظروف والمناسبات والوقائع الخاسمة التي نزلت فيها آيات القرآن الكريم ولا سبيل إلى معرفة كل ذلك إلا عن طريق السنة الصحيحة .

## ٢ — الرد على من ينكر الاحتجاج بخبر الواحد :

من الحديث ما هو متواتر ومنه ما هو آحاد ، أما الحديث المتواتر فقد عرفه العلماء بأنه ( هو ما نقله من يحصل العلم بصدقه ضروره بأن يكونوا جميعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول

(١) الرسالة للإمام الشافعي ص ٢٢٥ .

(٢) جامع بيان العلم ومصلحه ٢ : ١٩٠ .

الاسناد الى آخره ( ١ ) ولذا كان مفيدا للعلم الضروري وهو الذى يضطر اليه الانسان بحيث لا يمكنه دفعه ويجب العمل به من غير بحث عن رجاله ولا بشروط فيه عدد معين فى الأصح ( ٢ ) .

الخبر الذى لم يبلغ نقلته فى الكثرة مبلغ الخبر المتواتر سواء كان المخبر واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة الى غير ذلك من الأعداد التى لا يسعر بأن الخبر دخل بها فى حيز المتواتر « ( ٣ ) وقيل فى تعريفه : هو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء كان الراوى له واحدا أو أكثر ( ٤ ) . والشريهان يتفقان فى أن خبر الواحد لا تجتمع فيه شروط المتواتر ، فهما متقاربان .

وقد اتفق جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم على وجوب العمل بخبر الواحد وأنه حجة ، ويفيد الظن ومنع من وجوب العمل به بعض طوائف : كالروافض والقدرية ، والجبائى فى جماعة من المتكلمين .

### والدليل على وجوب العمل بخبر الواحد ما يأتى :

أولا : قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان يصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » ( ٥ ) والنبأ هو الخبر ، وهو مكررة فى سياق الشرط فيعم كل خبر ، ويدخل فيه الخبر الذى يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم قبل غيره لأهميته . وقد أوجب الله تعالى التثبت فيه لوجود الفسق ، فإذا اتقى هذا السبب بأن كان المخبر ثقة عدلا قبل الخبر من غير تثبت ولا توقف . .

ثانيا : ورد فى السنة الشريفة ما يدل على قبول خبر الواحد ،

- 
- (١) تدريب الراوى ص ٣٧١ .
  - (٢) قواعد التحديث للقاسمى ص ١٤٦ .
  - (٣) توجيه النظر ص ٢٣ .
  - (٤) قواعد التحديث ص ١٤٧ .
  - (٥) سورة الحجرات آية ( ٦ ) .

من ذلك ما روى عن سفیان بن عیینة عن عبد الملك بن عمر عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نصر الله عبداً سمع مقالتي ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين وأزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم (١) .

وفي هذا الحديث يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم لاستماع مقالته وأدائها ويدعو بالنصرة للقائم بذلك فيقول : ( نصر الله عبداً ) وفي رواية ( امرأ ) ، وكل واحدة من الكلمتين بمعنى ( الواحد ) ، والرسول لا يأمر أن يؤدي عنه إلا الذي تقوم به الحجة ، فذل ذلك على وجوب العمل بخبر الأحاد .

وقد تواتر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه كان يبعث بكتبه ورسله ويلزم المسلمين العمل بالأحاد منها .

ثالثاً : إجماع الصحابة المستفاد من الوثائق الكثيرة التي كانت تحدث ، وتواتر عنهم في العمل بخبر الواحد ، وكثيراً ما يكون لهم رأى في أمر من الأمور فإذا جاءهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا به وتركوا آراءهم ، كما كانوا يرجعون إلى بيت النبوة في بعض ما يحتاجون إليه فيسألون أمهات المؤمنين رغبة منهم في الوثوق على حكم النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الأمور ، وعلى هذا النهج سار التابعون من بعدهم (٢) .

ومما يشهد للعمل بخبر الواحد أن الصحابة كانوا يكتفون به فيما ينزل من أحكام الدين ولا يطلبون خبراً آخر من ذلك ما روى عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : ( بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت ، فقال : ان النبي قد أنزل عليه الليلة

(١) رواه أحمد ج ١ ص ٣٦ عن زيد بن ثابت ، والترمذي ج ٤ ص ١٤٢ عن عبد الله بن مسعود عن أبيه بلفظ ( نصر الله امرأاً ) وقال : حديث حسن صحيح : والدارمي بنحوه ج ١ ص ٦٥ .  
(٢) مكانه السنة في الإسلام المذكور محمد أبو زهو ص ٢١ .

قرآن ، وقد أمر أن يستقبل القبلة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة (١) فقد أخبرهم بتحويل القبلة واحد صادق فلو لم يكن خبر الواحد جائزا لما تحولوا الى الكعبة بخبره .

### رد بعض الاعتراضات :

١ - وقد يعترض على العمل بخبر الواحد ، بتوقف بعض الصحابة في العمل به وطلبهم شاهدا أو يمينا .

**والجواب على ذلك :** ان هذا كله لم يكن لان الحديث خبر آحاد ، وانما لزيادة التثبت في الراوى والمروى وشدة الحيطه في ذلك ، فربما وقع لهم الريب في الراوى بأن كان غير حافظ أو غير ضابط ، فطلبوا الشاهد أو اليمين لذلك .

٢ - وقد يعترض كذلك بأن الصحابة لم يكتروا من رواية السنة وقصروا العمل على القرآن والمشهور من الأحاديث ، واجتهدوا بالرأى بعد ذلك .

**والجواب على ذلك :** انهم ما تركوا الحديث الصحيح ولا لجأوا الى الراى ، وتشهد بذلك الوقائع الكثيرة الماتورة عنهم بل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : ( اياكم والراى فان أصحاب الراى اعداء السنن اعيتهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلنت منهم أن يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم ) (٢) .

واما ما جاء عن الصحابة من الاجتهاد بالرأى ، فانه لم يكن الا بعد البحث عن الحديث ، فاذا لم يجدوه اجتهدوا برأيهم ، فاذا جاءهم بعد ذلك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوه وتركوا الراى . وعن عبد الله بن مسعود قال : ( من عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فليقض بما قضى

(١) الموطأ ص ١٥٦ ، نسج البارى ج ١ ص ٤٢٤ ورواه مسلم بن طريق مالك ج ١ ص ١٤٨ وأحمد ج ٢ ص ١١٣ والشانينى في الام ج ١ ص ٨١ .  
(٢) اعلام الموقعين ج ١ ص ٤٦ ط المنبرية .

فيه نبيه صلى الله عليه وسلم ، فان جاء امر ليس في كتاب الله ولم يقض فيه نبيه صلى الله عليه وسلم ، فليقض بما قضى به الصالحون فان جاء امر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ولم يقض به الصالحون فليجتهد رايه فان لم يحسن فليقم ولا يستحي (١) .

### شروط العمل بخبر الواحد :

اشترط العلماء في قبول خبر الواحد ووجوب العمل به شروطا كفلت الاحتجاج به والعمل بما فيه ، وبهذه الشروط اندفعت الشبهة التي اثارها المشككون حول الحديث واصبح لا مجال لطلعتهم وقولهم : ( ان الراوى يجوز عليه الكذب أو الغلط مع احتمال الصدق فثبت الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير مقطوع به ) لا مجال لمثل هذا القول فان الشروط التي اشترطها الائمة والعلماء كانت كافية في ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب ، وهذه الشروط منها ما هو في راوى الحديث ، ومنها ما هو في متن الحديث .

### اما الشروط الخاصة براوى الحديث : فهي :

- ١ — العدالة .
- ٢ — الضبط .
- ٣ — أن يكون فقيها .
- ٤ — أن يعمل الراوى بما يوافي الخبر ولا يخالفه .
- ٥ — أن يؤدى الحديث بحروفيه .
- ٦ — أن يكون عالما بما يحيل معانى الحديث من اللفظ .

### الشروط الخاصة بالحديث : هي :

- ١ — أن يكون متصل السند برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) المرجع السابق ص ٥٣ .

- ٢ — خلوه من الشذوذ والعلّة .
- ٣ — الا يخالف السنة المشهورة قولية كانت أو فعلية .
- ٤ — الا يخالف ما كان عليه الصحابة والسابعون والا يخالفوا عموم الكتاب أو ظاهره .
- ٥ — الا يكون بعض السلف قد طعن فيه .
- ٦ — الا يشتغل الحديث على زيادة في المتن أو السند انفراد بها راوية عن النقات وكذا احتياط العلماء في قبول خبر الواحد فاشترطوا له الشروط الكافية ووضعوا لراويه الصفات اللازمة التي تجمع بين الثقة في الدين والصدق في الحديث . قال الخطيب : «وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التسابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في مسائل أمصار المسلمين الى وقتنا هذا ولم يبلغنا عن أحد منهم أنكار ذلك ولا اعتراض عليه» (١) .

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٧٢ ط مطبعة المصطفوية

## الاطوار التي مرت بها السنة في القرنين الاول والثاني

رواية السنة وكتابتها ، وندوينها وتصنيفها :

### العهد النبوي :

اصطفى الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه ليلفح الرسالة الالهية الى الناس جميعا ، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وأعد الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم اعدادا كاملا فرباه بعنايته ، وكأله برعايته وعصمه من الناس وعلمه ما لم يكن يعلم ، قال تعالى : ( ولولا فضل الله عليك ورحمته لهت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ) (١) .

وفام الرسول صلى الله عليه وسلم بأداء الرسالة خير قيام ، وأدى الامانة الالهية على أكمل وجه وتحمل في سبيلها ما تحمل وصبر وأستعذب الأذى حتى أرسى دعائم الدعوة وأقام دين الله تعالى . وقد تضافرت عوامل ثلاثة حفزت هم المسلمين الى الاقبال الشديد على السنة الشريفة ومدارسها :

---

(١) سورة النساء « ١١٣ » .



**أولاً :** القدوة الحسنة التي تبثت في الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » (١) .

**ثانياً :** ما تضمنته آيات القرآن الكريم والاحاديث الشريفة من الحث على العلم والعمل ، بل كانت أولى آيات الوحي الالهي من القرآن دعوة صريحة الى العلم ، نوجه أنظار البشرية اليه ، وتحض عليه ، قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » (٢) .

وقال تعالى : ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ) (٣) ، كما حض الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب العلم وتبليغه ، عن ابن شهاب قال : قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيباً يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وأنا أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم ( نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » (٥) .

**ثالثاً :** الاستعداد الفطري ، والذوق العربي الأصيل والذاكرة الواعية الأمانة التي كانوا عليها ، وقد حركت هذه العوامل قلوب المسلمين للالتفاف حول رسولهم صلوات الله وسلامه عليه ، لينهلوا من معين سنته المطهرة النى وجدوا فيها مادة خصبة لدنياهم وأخراهم ، تكفل لهم سعادة الدارين ، لان أحكامها الكريمة

(١) سورة الاحزاب « ٢١ » .

(٢) سورة العلق « ١ - ٥ » .

(٣) سورة النبوة ( ١٢٢ ) .

(٤) فتح الباري ج ١ ص ١٥٠ ، ١٥١ والمسند عن أبي هريرة ج ١٢

ص ١٨٠ ورواه ابن ماجه ج ١ ص ٤٩ ومجمع الزوائد ( ١ : ١٢١ ) .

(٥) الحديث ، سبق نخبره ص ٢٧ .

وآدابها الفاضلة تتعلق بالعقبة والشرعة والأخلاق وتعلق بجميع آدابهم وأحوالهم .

ونهج النبي صلى الله عليه وسلم معهم منهج القرآن ، بتدرج في انتزاع الشر والباطل ، ويعمل على غرس الخير والحق ، ويفنيهم في مسائلهم في كل مكان حسبما اتفق في الحل والترحال . وكان « المسجد » هو المكان المشعارف الذي تعاهدوا على حضور المجالس العلمية فيه ، تلك المجالس التي يعقدها لهم رسولهم صلى الله عليه وسلم بشرق بنور الله ، وتنبتق منها الروحانية الصافية ، فيتعلمون ويتفقهون ويعبدون فيها ربهم ويسبحون بالغدو والأصال . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتبع معهم أسمى الطرق في التعليم : فيتحولهم بالموعظة كراهة السامة عليهم وينوخي مخاطبتهم بلغاتهم ولهجاتهم وعلى قدر عقولهم متواضعا خليما ، ولم يحرم النساء من حقوقهن في العلم وإنما خصص لهن وقتا ينلقين فيه العلم .

**وقد بلغ من حرصه صلى الله عليه وسلم على تعليم المسلمين أنه كان يكرر القول ثلاثا حتى يفهم عنه ، وربما طرح المسألة على أصحابه (١) ليختبر أفهامهم ، ويجذب انتباههم ، وينتهي أن يكون التدريس والموعظة في الوقت اللائم والمظروف المناسبة التي يتولى لهم الحضور فيها ، وتكون عقولهم يقظة وواعية بعد صلاة الفجر وبعد العشاء ونحو ذلك . . .**

### تلقى الصحابة للحديث النبوي :

حرص الرسول صلوات الله وسلامه عليه على تبليغ المسلمين مسنته الشريفة وحبب إلى أصحابه رضوان الله عليهم حفظ الحديث وتبليغه ، فوضع منهج النلقى والتحديث ، وأرسى بينهم قاعدة التثبت العلمي التي ساروا عليها ، وانخذوها منهجا في الرواية بعد ذلك ، وسار الصحابة في حرصهم على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانب ما يقومون به من أمور المعاش وإذا تعذر على بعضهم الحضور يتناوب مع غيره كما كان يفعل عمر رضي الله عنه ، قال : « كنت أنا وجار لي من الأنصار في بنى أمية بن زيد وهي من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول

(١) مع الباري ج ١ ص ١٣٦ .



منهاجا ختاميا للدعوة الاسلامية تضمنت كثيرا من الاحكام والسنن وفيها بين الرسول صلى الله عليه وسلم مناسك الحج ووضع من آثار الجاهلية ما أبطله الاسلام ، فكانت من أعظم عوامل انتشار السنة بين كثير من القبائل والعشائر .

ومعلوم أن الصحابة رضی الله عنهم لم يكونوا في مستوى واحد من العلم بل كانت تتفاوت درجاتهم العلمية ما بين مكثر ومقل ومتوسط تبعا لظروف كل واحد منهم ، إذ كان من بينهم البسدي والحضري ، والمنقطع للعبادة ، والمشتغل بأمور المعاش فكان أكثرهم علما أسبقهم اسلاما كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود ، أو أكثرهم ملازمة لنبيه صلى الله عليه وسلم كابى هريرة ، أو أكثرهم كتابة كعبد الله بن عمرو بن العاص .

ولكن السمات العامة للمسلمين آنذ تبرز لنا الدوافع القوية التي حفزتهم على تلقي السنة النبوية حتى أودعوها حوافظهم القسوية وصدورهم الامينة مما جعل السنة الشريفة محفوظة جنبا الى جنب مع القرآن ، وتلك الدوافع هي اقتداؤهم بنبيهم واستعدادهم الفطري واستجابتهم للقرآن والسنة .

## السنة في عصر الصحابة والتابعين

انتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى الرفيق الأعلى ولم يترك وصية لمن يتولى الخلافة من بعده مكتفياً بتماليه الشريفة التي تضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة ، وقد أكمل الله لهم الدين وأنتم عليهم النعمة قال تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ) (١) وقد تمثلت سعادتهم في الأصلين الكريمين : الكتاب والسنة فحرصوا على حفظهما وخراستهما . ولا خوف على التراث النبوي في ظل الحياة المستقرة الآمنة ما دام بعيداً عن أعداء الدعوة وأهل الأهواء ، أما حين تضطرب الحياة وتظهر العداوة والبغضاء والفتن والأهواء فحينئذ يخشى على التراث النبوي أن تمتد إليه أيدي من مردوا على البغي والعدوان .

وقد كان أول اهتزاز يخشى منه اضطراب الدولة الإسلامية ويشب بين المسلمين الخلاف من جرائه هو مسألة الخلافة بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فقد اختلف المهاجرون والأنصار فيمن يكون خليفة ، واجتمعوا في السقيفة وبعد محاوره بينهم ومناقشة تداركهم الله بفضل منه ، فأنحس الأمر وتمت البيعة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان على الصديق أن يباشر مهام خلافته ، وكانت أولى مسئولياته الضخمة التي واجهته تلك

(١) سورة المائدة « ٣ » .

وهكذا سارت الحياة رضاء طيبة ، في عهد الخليفةين أمي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى كانت الخلافات التي بدأت تبرق شرورها حين أخذ الناس على سيدنا عثمان رضي الله عنه بعض الأمور ، ومن ذلك الوقت تسربت الفتنة بين الناس وتولى كبرها عبد الله ابن سبا اليهودي ، حتى انتهت بمقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ، ومن هنا بدأت تستعر نار الفتنة التي أطاحت بكثير من الصحابة .

ووسط هذا الجو الملبد الخانق تولى الإمام على رضى الله عنه الخلافة فكان أول صدام واجهه على أثر مطالبة معاوية بدم عثمان تلك المعارك التى أصابت سير الحياة بهزات عنيفة وفرقت المسلمين ، ( وانتهت بمعركة صفين التى كان على أثرها فرق أصحاب على إلى خوارج وشيعه ) (١) .

أما الشيعة فهم الذين يرون أن الخلافة يجب أن تكون في بيت  
النبي وقد قرروا أنها حق لعلي بن أبي طالب ثم لأولاده بالوراثة  
من بعده .

وأما الخوارج فهم من اشياع على بن أبى طالب الذين خرجوا عليه بعد التحكيم (٢) ثم صاروا حربا عليه وعلى جماعة المسلمين

(١) الحدث والمحدثون ص ٦٥ .

(۲) تاریخ الاسلام : محسن ابراہیم ج ۲ ص ۱۶۸

من بعده وقد قضى عليهم المهلب بن أبي صفرة في عهد الدولة الأموية ووسط هذا الانقسام ، وبين تلك الثورات العارمة والمعارك الدامية لابد أن يجد الأعداء وأصحاب الأهواء الطريق مبهدة لهم فاستغل اليهود والفرس وأعداء الدعوة تلك الفرصة الساتحة ليكيدوا للإسلام ويناهضوا ببغيهم وعدوانهم التراث النبوي ليدسوا ويضعوا ، فماذا نرى يفعل الصحابة ؟!

### منهج الصحابة في الرواية :

لم يكن هناك مجال للخلاف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا خوف على السنة الشريفة ، لأن الصحابة كانوا إذا ظهر بينهم خلاف في مسألة من المسائل يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عن لهم أمر يسألونه فيه . فلما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى خيف العبث بالسنة . خصوصاً والحديث لم يدون بعد في كتاب ، والإسلام تسع رقعة يوماً بعد يوم وبدخل فيه الكثير وفيهم من لا يؤمن جانبهم على الدين من المنافقين ونحوهم لذا كان من الضروري أن يتثبت الصحابة في سنة نبيهم الذي وضع لهم الأساس الأول في قاعدة التثبت فبنوا عليها منهجهم في الرواية وذلك بما بينه لهم عليه الصلاة والسلام من خطر الكذب عليه حين قال ( من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ) (١) وقال ( من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ) (٢) وكان أول من وضع قوانين الرواية عندهم أبو بكر الصديق رضوان الله تعالى عليه وتبعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسائر الصحابة ، وينلخص منهجهم في أنهم أقلوا من رواية الحديث كراهية أن يشتغل الناس برواية الحديث وينصرفوا عن

(١) رواه البخارى ج ١ ص ١٧٩ في فتح البارى بلفظ ( من كذب على فليتبوأ مقعده من النار رواه مسلم ج ١ ص ٥٥ ط الشعب ص أبى هريرة ، والترمذى ج ٤ ص ١٤٢ من حديث أبى ذر عن عبد الله وأخرجه من حديث الزهرى عن أنس بن مالك وقال الترمذى حديث حسن غريب ، صحيح من هذا الوجه من حديث الزهرى عن أنس بن مالك ، والدارى ج ١ ص ٦٦ ش حابر .  
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٥١ عن سورة بن جندب ومن المغيرة بن شعبة ط الشعب ، والترمذى ج ٤ ص ١٤٢ عن المغيرة بن شعبة وقال حسن صحيح ورواه بن ماجه ج ١ ص ١٠ .

تلاوة القرآن ، وخشية الوقوع في الخطأ أو تسرب التحريف الى السنة ، والاقتلال من الرواية كان سيرا سليما على ما رسمه لهم نبينهم عليه الصلاة والسلام ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » (١) .

كما سار الصحابة على طريق التثبت من الراوى والمروى فما اطمأنوا اليه قبلوه وما لم يطمئنوا اليه طلبوا عليه شاهدا وما لم تقم البينة على صدقه ردوه وكان تثبتهم قائما على ميزان النقد العلمى الصحيح . ومنع الصحابة الرواة من أن يحدثوا بما يعلو على فهم العامة . لان في هذا مدعاة الى تكذيبهم للمحدث فيما لا يفهمونه ومدعاة للخطأ والارتياح في الدين فامتنعوا عن ذلك خشية أن يستغل أصحاب الأهواء ظاهر النصوص لصالح بدعهم وأهوائهم .

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن عبد الله بن مسعود قال : « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » (٢) .

ومن أمثلة التثبت عند الصحابة ما رواه البخارى عن أبي سعيد الخدرى قال : « كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء أبو موسى كأنه مذمور فقال : استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت فقال : ما منعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » فقال : والله لتقيم عليه بيعة ، أمنكم أحد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بن كعب : والله لا يقوم معك الا أصغر القوم فكنت أصغر القوم وقمت معه فأخبرت عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك فقال عمر لأبى موسى أما انى لم اتهمك ولكن خشيت أن ينتقل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٠ ط الشعب .

(٢) صحيح مسلم شرح النووي ج ١ ص ٦٣ ط الشعب .

(٣) فتح البارى ج ١١ ص ٢٢ ، شرح الزرقانى على الموطأ ج ٤ ص ١٨٨ ، الرسالة ص ٤٣٥ برقم ١١٩٨ مختصرا .



وقد سار على سنة التثبت التابعون ومن جاء بعدهم وعنفوا  
بالأسانيد والنقد العلمى الدقيق . ولما كان الصحابة متفاوتين  
فى العلم فلم يكن عند الجميع ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم  
فقد بدأت الرحلات العلمية فقام الصحابة والتابعون بالرحلات الى  
كثير من البلاد حتى كان يتميز البعض بكثرة الرحلات والانتساب  
الى أكثر من بلد ، وكانت الرحلة سبيلا الى طلب الحديث وضبطه  
والتثبت منه .

كما كانت أيضا تدعيا لوحدة المسلمين وتعرفا على الجو  
العلمى فى شتى الأقطار الاسلامية ، ومعرفة المأما لطرق الحديث  
الكثيرة .

## تدوين السنة

قام أعداء الاسلام بعملون في ظلام الفرقة التي دبت بين المسلمين على أثر قتل الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضي الله عنه — حين افترق المسلمون فرقا وأحزابا ما بين شيعة وخوارج ووجهون وساعدهم على ذلك اتساع البلاد ، فوجدوا المناخ ملائما لبش سبهم وفساد أكاذيبهم ، وبعد أن انقضى عهد الخلافة الراشدة وافترق المسلمون الى فرق ، ظهر أرباب الكذب والنفاق من الملل الأخرى يكذبون ويلفنون ويصنعون الأحاديث ، فكان ظهور الوضع في الحديث أهم هذه الأسباب التي حفزت هم العلماء لتدوينه وتحسينه صيانة له من الأيدي العابثة ، يقول الامام الزهري : « لولا أحاديث تأتينا من المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ولا أذنت في كتابته (١) » .

ولم يكن ذلك الوقت الذي ازداد فيه نشاط العلماء في الجمع والتدوين هو مبدأ زمن التدوين وإنما بدأت كتابة الحديث منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم بصورة خاصة وغير رسمية فالسنة النبوية لم تبقى مهمة طيلة القرن الأول الى عهد عمر بن عبد العزيز ، وإنما كانت تكتب كتابة فردية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وحفظت في الكرايس والصحف بجانب حفظها في الصدور ، حيث كانت توجد بعض الصحائف التي تساركت

---

(١) تقييد العلم من ١١٨ .

المسود في حفظ السنة ومن هذه المصنفات صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي تسمى بالصادقة ، لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة ، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد : « هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس بيني وبينه أحد » (٢) .

وهي تشتمل على ألف حديث (٣) وكان لسعد بن عباد الأنصاري صحيفة ، ولسمرة بن جند صحيفة والصحيفة التي دونت فيها حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة ، وكان لأخبار الأنصاري صحيفة ولأنس بن مالك صحيفة كان يبرزها إذا جمع الناس ولهمام بن منبه صحيفة تسمى الصحيفة الصحيحة رواها عن أبي هريرة وكان ابن عباس معروفا بطلب العلم وبعد وفاته النبي صلى الله عليه وسلم . . كان يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكانت تلك الصحف والمجاميع تحوى على العدد الأكبر من الأحاديث التي دونت في القرن الثالث .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه « رجال الفكر والدعوة » : « وإذا اجتمعت هذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التي جمعت في الجوامع والمساند والسفن في القرن الثالث وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم ، وقد شاع في الناس حتى المثقفين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا في القرن الثالث الهجري وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون في القرن الثاني وما نشأ هذا الغلط إلا عن طريقتين :

**الأولى :** أن عامة المؤرخين يقتصر على ذكر مدوني الحديث في القرن الثاني ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التي كتبت

(١) الحديث الماصل ، وتفيد العلم ص ٨٤ .

(٢) أسد الغابة ٢٣٣/٣ .

في القرن الأول لأن عابثها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة .

**الثانية :** أن المحدثين يذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذي لا يتصور أن يكون قد جاء في هذه المجاميع الصغيرة التي كتبت من القرن الأول « أه » (١) .

ويقول العلامة مناظر أحسن الكيلاني متفقا مع الندوى في كتابه ( ندوين الحديث ) ( وقد ينعجب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال أن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث وكذلك يقال عن أبي زرعة ويروى عن الإمام البخاري أنه كان يحفظ مائتي ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابي من ثلاثمائة ألف حديث ولا يعرف كثير من المنعلمين فضلا عن العامة أن الذي يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد التي عني بها المحدثون فحديث أنما الأعمال بالنيات يروى من سبعمائة طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل (٢) من الأحاديث ، وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذي يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التي في الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف « (٣) أه » .

**وأنا أرجح هذا الرأي وهو كتابة الحديث في القرن الأول ، لأن أهل القرن الأول هم حلقة الاتصال بالنسبة لمن بعدهم من أصحاب القرون التالية الذين انتقلت على أيديهم السنة ، وأهل العهد الأول وأن كانت الأحاديث المدونة عنهم يظن أنها قليلة إلا أنها صحيحة كلها لا يداخلها شك ، إذ لم يكن الكذب أو الوضع قد شاع فيهم كالذين جاعوا من بعدهم فهم عدول وهم خير القرون وما من شك فيما كانوا عليه في العهد الأول من المنزلة العالية في الحفظ والمضبط**

(١) رجال المكر والدعوة ص ٨٢ :

(٢) أي بالنسبة إلى ضخامة عدد الأحاديث المروية مالملة نسبية .

(٣) القرآن والنبي للدكتور عبد الحلیم محمود ص ٣٣٧ ٢ ص ٣٢٨ نقلا عن

« ندوين الحديث » .

وليس هذا غريبا على قوم انحدروا من اصلااب آباء كانوا قههما عالية في الحفظ والانتقان ، ولكن مع هذا فقد كذب بعضهم الاحاديث فكان وصولها الى القرون التالية شفاهة وتحريرا وهذا ادق واوتق يقول : ابن الصلاح « ولولا تدوينه — أى الحديث — فى الكتب لدرس فى الأعصر الآخر » (١) .

ومنذ سنة اربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنة وحرب الامام على ومعاوية دببت الخلافات السياسية والمذهبية وظهر الوضع فى السنة النبوية من الذين لا ثقة فيهم ولا صحبة لهم حقيقية ، الا أن هذه الحركة قويات بقوة مؤمنة من علماء السنة الذين حصروا الموضوعين وصانوا سنة نبينهم عليه الصلاة والسلام ، سيرا على منهجه الكريم الذى وضعه لهم فى الحفاظ على السنة الشريفة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من كذب على منعمدا فلينبوا مقعده من النار » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال على ما لم اقل فليتبوا مقعده من النار » (٢) .

وقد وردت بعض احاديث تنهى عن الكتابة : منها ما رواه أبوسعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحاه » (٣) .

وعن أبى نضرة قال قيل لأبى سعيد لو اكتبنا الحديث ؟ فقال لا تكتبكم ، خذوا عنا ، كما أخذنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم (٤) .

- (١) مقدمة ابن الصلاح ص ٧١ .  
 (٢) فتح البارى ج ١ ص ١٨٠ عن سلمة بن الأكوع بلفظ « من يقل .. »  
 وأخرجه أحمد ج ٢ ص ٥٠١ عن أبى هريرة ( بلفظ من قال ) بإسناد صحيح وابن ماجة ج ١ ص ١٠ من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة ومسلم ج ١ ص ٥ والمالك ج ١ ص ١٠٢ والشافعى فى الرسالة ص ٣٩٦ والدارمى بنحوه ج ١ ص ٦٧ .  
 (٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ١٢٩ وكتاب جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٧٦ ورواه الدارمى ج ١ ص ٦٨ .  
 (٤) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٧٦ .

وهذا النهى عن كتابة الحديث كان في بدء الدعوة خشية أن يختلط الحديث بالقرآن فيلنيس على بعض الناس ، أو أن النهى كان في حق من يوثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة ولذا أذن بالكتابة لمن لا يوثق بحفظه كآبى نساہ .

عن أبى هريره رضى الله عنه : « أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام دسح مكة بقذبل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب فقال : « ان الله حبس عن مكة القتل أو الفيل » ، قال أبو عبد الله : كذا ، قال أبو نعيم وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلا وأنهما لم يحدل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ، إلا وأنهما أحلت لى ساعة من نهار ، إلا وأنهما ساعتي هذه حرام لا يدخلن شوكتها ، ولا يعضدن شجرها ، ولا يسقطن ساقطتها إلا لمنشد ، فمن قتل فهو بخير النظرين أما أن يعقل وأما أن يقاد أهل القتل ، فجاء رجل من أهل اليمن — هو أبو شاة فقال أكب لى بأ رسول الله ، فقال : اكتبوا لى فلان » رواه البخارى وأحمد وابن عبد البر .

والمراد كتابة الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أو أن النهى كان عاما وخص بالسماح له من كان كاتباً محيداً لا يلنيس عليه الحال بين السنة والكتاب كعبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ، قال أبو هريره رضى الله تعالى عنه : « ما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه متى إلا ما كان من عدد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » رواه البخارى والدارمى وابن عبد البر . كما كان للنهى عن الكتابة ثمره عظيمة : هى اتساع المجال أمام القرآن الكريم حتى يأخذ مكانه فى الكتابة ويثبت فى صدور الحفاظ ، أو أن النهى كان خاصاً بكتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة ، والأذن فى تفريقها . أو أن النهى كان متقدماً ، فالأذن بالكتابة ناسخ له عند الأمن من الالتباس ، وهذا أقرب الآراء .

وممن روى عنه كراهة الكتابة فى الحسدر الأول : عمرو بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى ، وأبو سعيد الخدرى ،

وممن روى عنه اباحة الكتابة أو فعله : على وابنه الحسن وأنس .  
وعبد الله بن عمرو بن العاص .

( قال الباقني : وفي المسألة مذهب ثالث وهو الكتابة والمحو بعد الحفظ(١) ) وأرى أن النهي عن الكتابة كان عاما في بادئ الأمر ، وخص الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة بالأذن في الكتابة لأسباب منها : أن البعض لا يوفق بحفظه كأبي شاه ، ومنها أن البعض كان كافيا مجيدا لا يلتبس عليه الحال كعبد الله بن عمرو ابن العاص ، فإنه كان قارئاً للكتب المتقدمة ويكتب بالسريانة والعربية(٢) .

وظل النهي عن الكتابة قائما حتى كثرت السنن وخيف عليها أن تضيع من البعض مكان الأذن بالكتابة ناسخا لما تقدم من النهي ، ولم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا وكتابة الحديث مأذون فيها .

وقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتابة الحديث واستشار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأشاروا عليه ، فطفق يستخير الله في ذلك مدة ثم عدل عن ذلك ، روى البيهقي في المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن ، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له وقال : انى كنت أردت أن أكتب السنن وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا أبسى . . كتاب الله بشيء أبدا(٣) .

واستمر حال السنة على هذا حتى انتشر الإسلام ، وتسمت الفتوحات ، وتفرق الصحابة في الأقطار ومات الكثير منهم ، فدعت

(١) تدريب الراوى ص ٢٨٥ .

(٢) نأويل مختلف الحديث ص ٣٦٦ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٢٢ ، تدريب الراوى ص ٢٨٧ ،

تقيد المسلم ص ٥٠ .

الحالة الى تدوين الحديث النبوى ، وذلك حين افضت الخلافة الى الامام العادل عمر بن عبد العزيز ، فأراد أن يجمع السنن ويدونها مخافة أن يضيع منها شيء وكان ذلك على رأس المائة الأولى ، فكتب الى بعض علماء الأمصار يأمرهم أن يجمعوا الأحاديث ، كما كتب الى عماله في إهمات المدن الإسلامية ، وهكذا أصدر الخليفة العادل أمره الى أنظار الإسلام : « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه (١) » .

وكتب الى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ١١٧ هـ ( اكتب الى بما يثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحديث عمرة فانى خشيت دروس العلم وذهابه ) وفي رواية : ( فانى خشيت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تنقل الا حديث النسي صلى الله عليه وسلم وليفشوا العلم وليحبسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا (٢) ) .

كنا اوصاه أن يكتب له بما عند القاسم بن محمد بن أبى بكر كما أمر ابن شهاب الزهري — عام ١٢٤ هـ — وغيره بجمع السنن فكتبوها مستجيبين لأمر الخليفة الذى أشعل همهم وصادف أمره فى نفوسهم الاستجابة والقبول وهكذا أتم الله على يد عمر بن عبد العزيز تنفيذ رغبة جده عمر بن الخطاب التى عدل عنها خشية التباس السنة بالقرآن الكريم .

**وثان تدوين الامام الزهري للسنة عبارة عن جمع الاحاديث التى تدور حول موضوع واحد فى مؤلف خاص ، فكان لكل باب من أبواب العلم مؤلف قائم به ، فكتاب للصلاة مثلا ، وآخر للصوم وهكذا وكل مؤلف من هذه المؤلفات تدون فيه الاحاديث المتصلة بموضوعه ، ومخاطبة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعيين ، وقد اخلص الامام الزهري نيته وعمله لله وللرسول فى تدوين السنة والتنبية على العناية بأساليبها .**

(١) نسح البارى ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢) المرجع السابق .



وفعلا فقد بدأ العمل بعدة ، وسعاون الأئمة والعلماء في المسددين الإسلامية ، في مكة وفي المدينة وفي البصرة والكوفة والشام وخراسان واليمن ومصر وواسط والري ، واضطلع الأئمة من أمثال الإمام ابن جبرج ١٥٠ هـ بمكة ، والإمام مالك ١٧٩ هـ بالمدينة ، والإمام سفيان الثوري ١٦١ هـ بالكوفة وغيرهم بالمهمة الجليلة الملقاة على عاتقهم ، فأكملوا ما بدأه الزهري ، الذي شام بالبدوين فجمع كل باب في مؤلف خاص كما سبق ، فجاء هؤلاء من بعده ، فجمعوا أحاديث كل باب من أبواب العلم على حدة ثم ضموا الأبواب بعضها إلى بعض - فكانت مصنفات واحدا ، وخططوا الأحاديث بأقوال الصحابة والتابعين .

**أما ما جاء بعد هؤلاء الأئمة** — من أهل عصرهم فقد سار على دربهم ، ونسج على منوالهم الى أن رأى بعض الأئمة أفراد الحديث خاصة على رأس المائتين في أوائل القرن الثالث الهجرى . . فالتفت المسافيد ، ثم جاءت طبقة أخرى دونت السنة في كتب خاصة نحرروا في تدوينها الصحيح على شروطهم ، وأفسدت الحديث عن غيره ، وجمعته على أبواب الفقه ، واختارت الرواة المشهورين بالثقة وبهذا يتضح أن تدوين السنة لم يأخذ وضعه في الظهور والتصنيف تمام الا في منتصف القرن الثاني في خلافة بني العباس ، وان كان قد بدأ قبل ذلك .

وكان لتدوين السنة على هذه المراحل أثره الجليل في حفظها من الدخيل ، ومن الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما كان للتدوين السنة على هذه المراحل أثره حيث سهل الطريق للاجتهاد والاستنباط .

بعد هذا كله أرى أن السنة النبوية كانت تكتب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأن وجدت بعض الأخبار بالنهي عن كتابها ، فإن إباحة الكتابة كانت جائزة للبعض ، وكانت آخر ما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه عليه ، فلم يلحق بالرقيق الأعلى إلا وكتابة الحديث مأذون فيها وقد حفلت في الصحف بجانب حفظها في الصدور ، ولم تبق مهملة طيلة القرن الأول إلى عهد ابن عبد العزيز ، وأحاديث الأذن بالكتابة أكبر شاهد على ذلك وهكذا كتبت الأحاديث وحفظ الكبير منها في الصدور من لدن صدورها من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن تلتقتها الصدور الواعية ، والصحف الأمانة ، وتناقلتها جيلا بعد جيل إلى أن تسلمها منهم أهل القرن الثالث ودونت الكتب الستة للأئمة : البخاري ومسلم وأبو داود ، والترمذي والنسائي ، وابن عسكارة ، جزاهم الله خير الجزاء عن السنة الشريفة .

## نماذج من هدى الحديث النبوي

في الصفحات التالية ، نقدم بعض النماذج الطيبة من الأحاديث النبوية الشريفة ، ليقتف القارئ على بعض العطاء الكريم الذي تمنحه السنة الشريفة تحصيلها للمفاهيم الإسلامية ، وتزكية للعلاقات الإنسانية ، سيرا بالمجتمع الإسلامي نحو الوجهة الرشيدة .

وصدق الله تعالى في قوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

## الحلال والحرام

روى البخارى في صحيحه قال : حدثنا أبو نعيم قال حدثنا زكريا بن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبىرا لدينه وعرضه ، ومن وقع في المشبهات كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقعها إلا وإن لكل ملك حمى إلا وإن حمى الله محارمه إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت ففسد الجسد كله إلا وهى القلب » .

### الشرح :

الاسلام دين العلم والعمل ، يدعو أتباعه لمعرفة أصوله وفروعه ، والوقوف على الظاهر منها والخبى ، حتى إذا ما جاء دور العمل كان متبعثا من نور وسائرا على هدى . . كما يئبى الى مستقر العقيدة فى الانسان ، ومصدر أعماله كلها وهو القلب . . فبصلاحه يتم اصلاح سائر الجسد ، وبفساده يكون فساد سائر الجسم .

وهذا الحديث يوضح بيان الحلال والحرام وما بينهما ، ويضع الضوابط الدقيقة لمنع أية شبهة تتسرب الى المال وغيره ، فالمال يمثل أقصى شهوات النفس البشرية ، وهذا يأمر الله بتناول الحلال الطيب قبل أن يأمر بعمل الصالحات .

قال تعالى :

« كماوا من الطيبات واعملوا صالحا » اذ كيف تقبل عبادة او يستجاب دعاء والمال من حرام ؟! قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال : « يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم » وقال : « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام فأنى يستجاب له ؟ »

والحديث الذى معنا يقطع طريق الريبة الى النفوس ، ويحد من اطماع المتلاعبين بالكسب والعمل ، أو العابثين بشتى الوظائف الاجتماعية ، فيقرر حقيقة هى من الوضوح بكان بحيث لا يففلها احد ، ولا نغيب عن ذهن عاقل :

« الحلال بين والحرام بين » انه واضح للخاصة والعامة ، معلوم من الدين بالضرورة أى لا يجهله أحد ما بداهة ، فلا شبهة فيه ولا غموض ومن أمثلة الحلال : أكل الطيب المباح ، وشرب الطيب المباح ولبس الانواب المباحة ..

ومن أمثلة الحرام : أكل الربا ، وشرب الخمر ، والسرقه وما الى ذلك ...

ومن رحمة الله بالإنسان أنه يبين له الحلال من الحرام ، والطيب من الخبيث وتكفل سبحانه بشأن التحليل والنحرير عن طريق الوحي الإلهي المعصوم ، فقال سبحانه : « **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ** » وقامت السنة الشريفة كمصدر ثان للتشريع بجوار القرآن في تفصيل ما أجمل ، وبيان ما يحتاج إلى توضيح ، قال تعالى :

« **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » .

قال العباس : « **والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترك السبيل نهجا واضحا وأحل الحلال وحرم الحرام** » قال تعالى « **اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** » .

ثم ينتقل الحديث بعد ذلك إلى بيان أمر ثالث : وهي الأمور المشبهة ، « **وبينها مشبهات لا يعلمها كثير من الناس** » أي بين الحلال والحرام أمور مشبهة على كثير من الناس حكمها فلا يقطعون فيها برأى ولا يقفون على حكمها بالتعيين لتكون من الحلال أم لا ؟ والسبب في هذا ، أنه يتنازعها دليل الحل فيظن أنها حلال ، ودليل الحرمة فيظن أنها حرام من جهة عموم الأدلة .

ولكن ما حكم مثل هذه الأمور ؟

ذهب بعض العلماء إلى أنها حرام ، وقال البعض : أنها مكروهة وقيل : الموقف فلا يحكم فيها بحل ولا حرمة ، لأنها غير واضحة والذي نراه : هو الأخذ بالأحوط ، فبالنسبة لمن لم يقطع في هذه الأمور برأى واضح الدليل فيعين عليه أن يسأل الراسخين في العلم وهم القلة الذين أوتوا بصيرة مستنيرة ، وعقلية علمية راجحة ولديهم القدرة على الجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض ، قال تعالى : « **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** » . .

أما إذا اختلفت آراء العلماء باختلاف استظهار الأدلة فعلى المسلم أن يحافظ لدينه فيعوثف عن هذه الأمور ، ومن أمثله ذلك في عصرنا الحاضر .

« فوائد مسند أبي النوفير » و « شهادات الاستعمار » وما يشبه ذلك من المعاملات الأخرى ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في تشمة الحديث : (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه) .

أى أن من حذر من الشبهات وبوقى الاقتراب من مواطنها فقد طلب البراءة وحصل عليها فحافظ على دينه من النقص ، وعلى عرضه

من الطعن فيه ، وبهذا يفهم أن من اقترب من هذه الأمور فقد تعرض للظن فيه ، فعلى المسلم أن يحافظ على أمور دينه ومروءته .

وفي الحديث : « انى لا تغلب الى أهلى فأجد الثمرة ساقطة على فراشى فأرفعها لأكلها ، ثم أخشى أن تكون من الصدقة فألقها » .

وعلى العالم ألا يفعل شيئاً قد يكون ظاهره مدعاة لسوء الظن به حتى يبين وجه الحقيقة فيه ، وعلى الناس عامة ألا يعرضوا أنفسهم للقتل والقال ، بل عليهم إذا أحسوا بشيء من هذا القبيل أن يبينوه حتى لا تظن بهم الظنون .

وفي الصحيحين : أن صفية بنت حبي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت تزوره حين أعكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ثم قامت فقام معها يودعها ، فمر بهما رجلان من الأنصار ورأياه واقفا معها ، فقال : على رسلكما أنها صفية بنت حبي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله : وهل نظن بك إلا خيراً ؟؟

فقال : أن الشيطان يجرى من أين آدم مجرى الذم ، وقد خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً .

ثم يبين الحديث بعد ذلك مغبة ما يؤول اليه أمر هذه الأمور المشبهة ، بأن من وقع فيها وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، فان فعل الشبهات يقرب من الحرام لأن لكثيرة منها تجعل صاحبها يصادف الحرام دون أن يشعر أو ان كثرة تعاطى الشبهات والنسائل في أمرها نجعله يجزئ على الوقوع في الحرام .

وانما أثر التعبير بقوله « ومن وقع . . » دون أن يقول : « ومن فعل الشبهات » مثلاً لينبه على أن تعاطى الحرام في الوقوع فيه يكون نتيجة الاكثار من الشبهات والرغبة فيها حتى يسقط فلا يستطيع التخلي عنها وعندئذ يقع في الحرام .

واذا كان لكل ملك حمى يحميه عن الناس ، ويمنع أحداً ما أن يدخل فيه ومن دخله أوقع به العقوبة ، ومن أجل هذا لا يقاربه احد رهبة وخوفاً ، وإذا كان الحال كذلك فان حمى الله تعالى — وهى محارمه — أولى بالبعد عنها ، وأجدر ألا يقربها الناس ، فالمعاصي من قتل أو زنا أو سرقة أو غيبة وغير ذلك كل هذا يمثل حمى الله من دخلها وارتكب شيئاً منها كان موضع غضب الله وعذابه ، قال تعالى : « .. تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » ..

أما مستقر الصلاح في الانسان ، ومبعث الخير والبر فيه ، فهو القلب ، ولهذا يبرز الحديث أهميته كأساس في توجيه صاحبه الى الحلال ، والبعد عن الحرام ، فيقول : « ألا وان في الجسد مضغة . . » فالقلب السليم هو مركز الدائرة في الانسان ، ونظرة الاسلام الى القلب من أدق الحكم السامية فعليه مدار العمل كله قال تعالى : « ( يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ) » بل ان الابيان نفسه لا يستقيم الا اذا كان الناصديق نابعا من القلب السليم ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه » ..



وهكذا نرى ما لهذا الحديث من منزلة هامة في الدين ، لدرجة  
أن قال جماعة : هو ثلث الإسلام وأن الإسلام يدور عليه وعلى حديث  
( الأعمال بالنية ) والحديث «من حسن المرء تركه ما لا يعنيه»  
وقال أبو داود السخيتاني : يدور على أربعة أحاديث هذه الثلاثة  
وحديث : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقيل  
حديث « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك  
الناس » ، وقيل في هذا .

مهدة الدين عندنا كلمات  
مسندات من قول خير البرية  
اترك المشبهات وازهد ودع ما  
ليس يعينك واعمل بنية



خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه قالت الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال : نعم ، اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك !

قالت : بنى يارب ، قال : فهو لك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقربوا ان شئتم ( فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم ) رواه البخارى .

وقال القاضي عياض : لا خلاف ان صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيوعها معصية كبرى . قال : والاحاديث في الباب تشهد لذلك . أنواعها : والرحم ثلاثة أنواع :

- ١ - رحم عامة وهى رحم الدين
- ٢ - رحم خاصة وهم الأقارب .
- ٣ - رحم القريب غير المسلم .

وأما الرحم العامة : فتجب مواصلة بها بالتواد والتناصرح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما الى ذلك من الحقوق الواجبة والمنسوبة .

وأما الرحم الخاصة : وهى النبي يعنىها الحديث — فتكون صلته بزيادة النفقة على الأقارب ، وتفقد احوالهم ، والتسامح معهم ، وقضاء حوائجهم وكل ما فيه نفع ديني أو دنيوي يعود عليهم .

وأما القريب غير المسلم : فقد أجاز الاسلام صلته والاحسان اليه للرحم التي يرتبط الانسان بها معه ، قال عمرو بن العاص : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول : « ان آل أبى ليسوا بأوليائي انما وليي الله وصالح المؤمنين ، زاد عتبة بن عبد الواهد عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم : ولكن اهتم رحم ابلها ببلالها يعنى أصلها بصلتها . رواه البخارى .

وقال الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين (١) » روى عن الزبير بن العوام رضى الله عنه — في سبب نزول هذه الآية قال : قدمت قتيبة على ابنتها أسماء بنت أبى بكر بهدايا ضباب وهو نوع من الحلوى — وقوط وسمن ، وهى مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدفعها بيتها . فسألت عائشة النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : « لا ينهاكم الله » الآية السابقة ، رواه أحمد وهذا الحكم هو ما عليه أكثر المفسرين وهو ما نميل إليه لما ورد من الحديث كذلك .

وجوه الصلة : ولصلة الرحم وجوه عديدة ، منها ما يكون بالمال ومنها ما يكون بتفقد احوالهم ، وقضاء مصالحهم ، وهى ليست خاصة بمن يصلون المودة بل ان المسلم مطالب ان يصل جميع رحمه ، سواء احسنوا اليه أم أساءوا عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » . رواه البخارى وأبو داود والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعوننى واحسن إليهم ويبسئون الى واحدلم عنهم ويجهلون على ؟ فقال « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » . رواه مسلم .

والمعنى الشامل لوجوه الصلة : هو ايصال ما يمكن من الخير ودفع ما يمكن من الشر .

ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة . فمنها : واجب ومنها : مستحب فمن وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا ولو قصر عما يقدر وينبغي له لا يسمى واصلا . ا هـ من شرح

(١) سورة الممتحنة آية : ٨ .

صحيح مسلم للنووي وقال بعض العلماء : تكون صلة الرحم بالمال وبالعمل على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالذعاء .  
أ ه فتح .

ويشتمل الجميع ايصال كل خير ، ودفع كل شر حسب الطاقة كما سبق ثمرات صلة الرحم : ولصلة الرحم ثمرات كثيرة وردت بها الأحاديث الشريفة . ومن هذه الثمرات : ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأله في أثره فليصل رحمه » .

رواه البخاري ومن هذا الحديث نقف على ثمرتين من أهم ثمرات صلة الرحم هما :

١ - زيادة العمر .

٢ - زيادة الرزق .

وقد قال البعض : ظاهره يعارض قوله تعالى : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

وقد حاول العلماء التوفيق بين الحديث والآية على أربعة أسوال :

الأول : ان هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق الى الطاعة ، فيبقى بعد الانسان الذكر الجميل .

الثاني : ان الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة الى علم الملك الموكل بالعمر ، وأما ما دلت عليه الآية فبالنسبة الى علم الله تعالى كأن يقال : للملك مثلا : ان عمر فلان مائة مثلا ان وصل رحمه ، وستون ان قطعها ، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص أ ه . من الفتح .

التالث : انه محمول على الذرية الصالحة يدعون لأبيهم بعد موته .

الرابع : ان المراد بزيادة العمر نفى الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله وفي كل شيء .

واما بالنسبة لكثير الرزق فمحمول على وضع البركة فيه . بحيث يكفي قليله ويستغاد منه ما لا يكفي الكثير مما لم نوضع فيه البركة .

والذى نراه : هو انه لا حرج على فضل الله ، وما دام يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء ، وجعل لصنائع المعروف ثمرة ، وللدعاء نتيجة ، فلا مانع أن يكتب لمن حصل رحمه مزيدا من العون والرزق ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

## التحكّل من المظالم

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » رواه البخارى .

لقد حث الاسلام على العدل بصور عديدة ، وعالج نواحى الضعف النفسى ، التى قد تكون منقذا من مفاذ الظلم ، فقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » .

وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى وانشوا الله أن الله خير بما تعملون » .

وكما حذر الاسلام من الظلم ومن العوامل المؤدية اليه ، عالج الوقوع فيه وأرشد الى سرعة التخلص منه ، قبل ان يأتى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم ، فان أخذ الله تعالى للظالمين انفساً أخذ شديد كما قال تعالى : ( وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد ) والحديث الذى معنا يحدث على سرعة التخلص من المظالم أيا كان نوعها في العرض أو النفس أو المال ، فقد حث الحديث على التخلص منها في الدنيا قبل الآخرة ، ويكون التخلص مع صاحب الحق الذى وقع عليه الظلم ، فان لم يكن حيا ، فيكون مع ورثته ويقع التخلص مع المظلمة على صورة مختلفة :

١ — برد الحق الى صاحبه .

٢ — أو بتكينه من القصاص .

٣ — أو بأن يستسمح صاحب الحق ، فيرضى ويصفح عنه .

والتخلص من المظالم شرط أساسى ، للتوبة الى الله تعالى ، فإذا كانت معصية العبد في الدنيا تتعلق بحق آدمى ، فان شروط التوبة بالنسبة اليه هى :

١ — أن يقلع عن المعصية .

٢ — وأن يندم على فعلها .

٣ — وأن يعزم أن لا يعود اليها ابداً .

٤ — وأن يبرأ من حق صاحبها ، فان كانت مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد تذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوّه ، وأن كان غيبة استحلّه منها . أما اذا لم تتعلق المعصية بحق آدمى فلها الشروط الثلاثة الأولى .

وقد حث الحديث على سرعة التخلص من المظالم قبل ان



لا يكون دينار ولا درهم ، وذلك في يوم القيامة الذي لا ملك فيه لأحد إلا الله رب العالمين .

ثم صور الحديث الشريف صورة ما يقع يوم القيامة ، وكيفية أخذ الحقوق لأصحابها : « ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته » وقد وقعت هذه الجملة جوابا عن سؤال نشأ من الكلام وكان سائلا سأل : اذا لم يكن هناك درهم ولا دينار فكيف يقع القصاص فاجيب : « ان كان له عمل صالح . الخ » . اى ان الله تعالى يعطى ثواب العمل الصالح للمظلوم ويأخذه من الظالم فلا يحسب له فاذا لم تكن هناك حسنات للظالم ، أخذ من سيئات المظلوم فيؤضع ما له من ذنوب على ذنوب الظالم ، فان لم توجد حسنات للظالم ولا سيئات للمظلوم ، أو كان الموجود منها لا يفي بالحق فان الله الحاكم العادل يعاقب الظالم حينئذ بعذاب النار على قدر ظلمه .

وقد يعترض : بأن مثل هذا ينعارض مع قول الله تعالى : « ولا بزر وازرة وزر أخرى » .

والجواب على هذا : هو ان الظالم اما يعاقب بسبب ما ارتكبه من ظلم بسبب جنابته ولم يعاقب بجناية غيره .

عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أندرون من المفلس لا قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا وأخذ مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من سيئاته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثم طرح في النار » أخرجه مسلم .

ونورد الآن حكم الغيبة ، وهل فيها مظلمة يجب ان يتحلل منها المفتاب أم لا ؟ والجواب على هذا : هو ان الغيبة من الكبائر قال تعالى : « ولا يفتن بعضهم بعضا » وفي الحديث « دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » .

وقد اتفق العلماء على أنها من الكاثر ، بجب التوبة الى الله منها . واختلفت الآراء : هل يستحل المغتاب أم لا ؟

١ — فقال بعضهم : ليس عليه استحلاله ، وانما هي خطيئة بينه وبين ربه ، واستدل أصحاب هذا الرأي بأنه لم يأخذ شيئاً من ماله والا احاب من بدنه ما ينقصه ، فليس في ذلك مظلمة يستحلها منه وانما المظلمة ما تكون في المال والبدن .

٢ — وذهبت فرقة اخرى : الى أن الغيبة مظلمة وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه ، واستدلوا على ذلك بما روى عن الحسن :

« كفارة الغيبة أن يستغفر لمن اغتبتته » .

٣ — وذهبت فرقة ثالثة : الى أن الغيبة مظلمة وعلى صاحبها الاستحلال منها ، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة الذي نتناول شرحه الآن .

والذي نرجحه : هو الرأي الثالث ، القائل : بأن على الذي اغتاب الاستحلال من غيبته ، مستدلين بهذا الحديث ، هو يدل على التحليل ومعلوم أن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحجة وفيه البيان الصحيح ، ولأن التحال كذلك يدل على التعاطف والنراحم ، وهو من قبيل العفو ، قال الله تعالى :

« فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين » .

اللهم الا اذا ترسب على الاستحلال خطر شديد ، وخيف أن يجر الى اندلاع فتنة كبرى ، فانه حينئذ يمسك عن الاستحلال حتى يواتيه الظرف المناسب له ، ويقوم بالتوبة والاستغفار لأخيه .

وأما الرايان : الأول ، والثاني ، فنرى أن أصحاب الرأي الأول ينقون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالا ولا بدنا ،

فليس في ذلك مظلمة ، والحق : ان اجماع العلماء منعقد على  
ان الشاذ للمنفذ مظلمة ، وهذا ليس في البدن ولا في المال  
معدل على ان الظلم يكون في العرض كما يكون في البدن والمال .  
واما الرأي الثاني : القائل انها مظلمة يغفر لصاحبها ، ففيه تناقض  
لان قولهم : « مظلمة » يشبتون ظلمة المظلوم ، واذا ثبتت لم ترفع  
عن الظالم الا باحلال المظلوم له .

## مَنْزِلَةُ الْعَمَلِ

عن المقداد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه وإن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده » .  
رواه البخاري .

الإسلام هو دين العمل ، وقد حث الله تعالى المسلمين عليه وذلل لهم الأرض ، ليمشوا في منابها ، قال تعالى : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في منابها واكلوا من رزقه واليه النشور » وقال تعالى : « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » .

والحديث الذي معنا يرفع من قيمة العمل ، ويبين منزلته السامية في الإسلام ، بروى المقداد بن معد يكرب الكندي رضي

الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط .. الخ » . والمراد : كل انواع الانتفاع من المال الذى يحصل عليه الانسان من عمل يده ، وليس المراد تخصيص الاكل بالذات الا أنه نص على الأكل ، وخصه بالذكر ، لأنه اظهر وجوه الانتفاع وأهمها .

والخبرة المقصودة في قوله : « خيرا من ان يأكل من عمل يده » تكون في الدنيا وفي الآخرة .

أما في الدنيا : فان النفع يعود على العامل ، وعلى غيره فمن يحصل اليه نفعه ، كما ان الانسان بالعمل يحفظ ماء وجهه ، ويصون كرامته الانسانية من المذلة لانسان .

وأما في الآخرة : فبما يحصله من ثواب عظيم ، وأمر كريم ، حيث استجاب لله ورسوله ، فسعى في الحياة ، وحظى بشرف العمل ومثوبته .

ويشمل أنواعا كثيرة ، دعا اليها الدين ، وحث عليها القرآن والسنة فهناك العمل الزراعى ، وفيه يقول الله تعالى : « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » .

وعن انس رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة ، الا كان له به صدقة » .

وهناك العمل التجارى : قال تعالى : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلن الطعام ويمشون في الأسواق » ، وقد حض الاسلام كل من يشتغل بالتجارة أن يتحرى الصدق والأمانة وبين انه ان صدق كانت له عند الله منزلة عظيمة ، قال عليه الصلاة والسلام : « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » .



وقد كان داود عليه السلام خليفة لله في الأرض ، وقد سخر الله له الجبال والطيور ، وأخضع له الجن والإنس ، قال الله تعالى : « ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبي معه والطيور والنمل له الحدود أن يعمل مما يشاء وقدر في السرد » أى أصنع الدروع الحامية من الأعداء ، وأحكم صنعها ، وقال تعالى : « وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحفظنكم . أى تكون واقية لكم وتحمكم في وقت الحروب .

### الرد على شبهة اعداء الاسلام :

وقد أثار بعض اعداء الاسلام شبهة حول العمل في الاسلام أرادوا من ورائها أن يتهموا الاسلام بأنه يأمر أتباعه بالتواكل وترك العمل ، وحسبنا في الرد على هذه الشبهة بالاضافة الى ما سبق ، أن نقف على بعض توجيهات الاسلام في الجانبين معا — العمل ، والتواكل — وعندئذ لا نجد شائبا بينهما ، فالقرآن الكريم ، وجه المسلمين أولا الى وجوب القيام بالعمل ، وأداء ما وكل اليهم من مهام أن يأمرهم بالتواكل على الله قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : « وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ، وأمر الله السددة مريم عندما أجهزها المخاض الى جذع النخلة أن تهزها لتساقط عليها الرطب ولو شاء سبحانه أن ينزله عليها دون أن تسعى ونهز النخلة لفعل ، ولكن الله تعالى أمر بالعمل ، وربط الأسباب بنتائجها فقال : « رهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنبا » وعندما جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : أتوكل على الله ؟ — وكان قد أهمل ناقته قال له عليه الصلاة والسلام « اعقلها وتوكل » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طاب الرزق ويقول : اللهم ارزقني فقد علمتم أن السما لا سطر ذهبيا ولا فضة ومما ينهى الإشارة اليه : أنه لبس في دعوة الاسلام الى العمل والسعى ذريعة لأن ينسفل الناس بذلك عن دينهم وشعبانهم ، لا ، فإن العمل في الحياة طريق الى مرضاه الله

تعالى ، فلا يصح أن ينسى صاحبه بذلك ربه أو يفرط في جنبه .  
هذا وقد رفع الاسلام من قيمة العمل مهما كان نوعه ، حتى  
لا يتخاذل الناس في ميدان الحياة ، أو يتحرج بعض أصحاب  
الأعمال البسيطة ، فبين أن العمل خير للإنسان من أن يسأل  
الناس ، لأن ترك العمل يؤدي الى الفاقة ، وهي بدورها تسلم  
الانسان الى ذل المسألة ، فبين رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب فيبيعها  
فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعه »



## فَضْلُ الْحَيَاءِ

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينطوى عليه الايمان من  
رواه الشيخان .

يوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينطوى عليه الايمان من  
محامد الفعال ، وكريم الخصال ، وانها كثيرة ، فهي بضع وستون  
شعبة .

وفي رواية « بضع وستون » وليس بين الروايين تناقض ،  
فالمراد الكثير وذكر البضع للترقى يعنى أن شعب الايمان كثيرة  
لا حصر لها وقيل : ان المراد حقيقة العدد ، ويكون قد صرح في  
بادئ الأمر بالبضع والستين ، لأنه الذى وقع وحدث حينئذ ،  
ثم زادت شر أخرى فنص عليها ثم نبه على شعبة من هذه  
الشعب هي أهمها ، ألا وهي الحياء .

والحياء : خلق كريم يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير  
في حق ذى الحق وينشأ من الخوف من الله واستشعار مراقبته ،  
هذا تعريفه الشرعى .

وأما معناه في اللغة : فهو تغير وانكسار يعتري الانسان من  
خوف ما يعاب به . والحياء يعصم المرء من مزالق الشر ، ويفضى  
به الى مسالك البر والفضيلة والخير .

وقد روى في حديث آخر ثمرات الحياء جملة فورد : « الحياء خير كله » « والحياء لا يأتي إلا بخير » لأنه يوجه صاحبه الى المعروف والطاعة ، ويحجزه عن كل منكر ومعصية .

وتوضيح الحياء بهذا المفهوم ، وهو انه ساعث على اجتناب القبائح ، ومانع من التعمير هو الحفيق الشرعى ، اما حين يمنع انسان من قول الحق ، أو من فعل الخير متعللاً بما يزعم من حياء فليس هذا من الدين ، ولا من الحياء فى شىء ، بل هو عجز ومهانة ولا ينشأ الا من ضعف الدين .

وخص الرسول صلى الله عليه وسلم شعبية الحياء بالذكر دون سائر السعاب تنبيهها على ما للحياء من اثر فى سلوك الانسان ، فالحياء يدعو الى سائر الخصال ، الحميدة ، والحيى بخشى الله تعالى ويخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر بأمر ربه وينهى بنهيه .

أما من لا حياء عنده فلا خير فيه ، لأنه لا يرى بأسا فى اعلان فسقه أو شره ، ومن هنا وجب تحذير الناس منه ، ومن الذى جلباب الحياء فلا غيبة له .

وقد اجتهد بعض السلف فى حصر ما تفرعت عنه شعب الإيمان ، فمنها ما يتعلق بأعمال القلب : كالإيمان والاخلاص والحب فى الله . ومنها ما يتعلق بأعمال اللسان كالالتوحيد والذكر وتلاوة القرآن والاستغفار . ومنها ما يتعلق بالبدن كالصلاة والزكاة والصيام والحج وهكذا . .

وفى رواية مسلم ما يشير الى أن شعب الإيمان متفاوتة علوا ونزولا « أعلاها : لا اله الا الله وأدناها امانة الأذى عن الطريق » أى تفحيتها من طريق المسلمين .

وكثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على التخلق بالحياء .

وقد مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء ليكفه عنه ، لما يزعم أن فيه ضعفا فنهاه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال : « دعه فإن الحياء من الأيمان وكان صلى الله عليه وسلم خير من تمثل في شخصه الشريف خلق الحياء ، فهو رقيق الشعور ، دقيق الإحساس ، إذا رأى شيئا لا يحبه مما لا يتصل بشأن الدين ظهر في وجهه وعرفه أصحابه ، أما ما يتصل بأمور الدين فكان أسرع ما يكون إلى تغييره ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه .

وحسب هذه الفضيلة شرفا أنها خلق الإسلام كما قال صلى الله عليه وسلم : « أن لكل دين خلقا وإن خلق الإسلام الحياء » .

بل أن الحياء هو خلق كل الأديان ، قال صلى الله عليه وسلم : « أن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وأما التفقه في الدين فلا ينبغي أن يستحيا منه ، جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله أن الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت ؟ فقال : « نعم إذا رأت الماء » وقد عد بعض العلماء تلك الشعب منهم ابن حبان ، فليخص الحافظ ابن حجر في الفتح ما أورده ، وبين أن تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن كما سبق .

وأعلى أنواع الحياء : هو الحياء من الله تعالى ، وذلك بطاعته سبحانه فلا يراك حيث نهاك وهذا بمعرفته ومراقبته في السر وفي العلانية وهذا هو المراد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها أخرجه الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « استحيوا من الله حق الحياء » فقالوا : أنا نستحي والحمد لله ، فقال :

« ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء » .

قد جعل الحياء شعبة من الإيمان مع أنه من الغرائز ، لأنه قد يكون غريزة وقد يكون تخلقا ، ولكن استعمال الحياء في الشرع لابد له من نية واكتساب فكان من الإيمان لهذا ، ولأنه يبعث على الطاعات ويمنع من ارتكاب المعاصي والمخالفات .

والمراد بالإيمان في الحديث هو الإيمان الكامل الذي يتكون من التصديق والافرار والعمل .

## القائم على حدود الله والواقع فيها

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهبوا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » رواه البخارى .

ان القائم على حدود الله هو المراقب لها ، بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان الواقع فيها هو الذى ترك الأمر بالمعروف ، وارتكب المنكر .

ومثل هذين كمثل قوم اقتربوا على سفينة مشتركة بينهم تنازعوا في الإقامة فيها ، بين المكان الأعلى ، والمكان الأسفل فأصاب بعضهم عن طريق القرعة أعلى السفينة ، وأصاب البعض الآخر أسفلها ، فكان الفريق الذى في أسفل السفينة إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم وفي رواية : « فكان الذى في أسفلها يملأون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به » فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا

أخرقا ولم نؤذ - أى لم نضر - من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا من الخرق في تصميهم هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا .

وهكذا الحال بالنسبة لاقامة الحدود بحصل بها النجاة لمن أقامها ، ولن أقيمت عليه ، وأما إذا لم تقم فإن العاصي يهلك بمعصيته وإن الساكت عن المنكر يهلك بسكوته ، لأنه راض على المعصية مغر بوضعها .

وفي هذا التوجيه النبوي الحكيم ارشاد للمجتمع الاسلامي أن ينشد أفراد الخير لأنفسهم ولأخوانهم ، ويحفظوا على الأرض ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وإيماننا بالله قال تعالى : ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف ونهون عن المنكر ويؤمنون بالله ) . وقد بينت المسنة الشريفة مراتب النهي عن المنكر وتغييره ، وأنها تبدأ أولا باليد ثم باللسان ثم بالقلب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وهذه المراتب الأخيرة تظهر حين يغضب المسلم لغضب الله ، فبنأى عن مركب المنكر ولا يتخذ منه صاحبا ولا يتعامل معه ، فإن استطاع المجتمع أن بهل مرتكب المنكر وبزدرية من قلبه ، فإنه يرى حينئذ أنه أصبح منعزلا فيستشعر ذنبه ويكون للراي العام هنا أثره في استصلاحه وتغيير المنكر بالنسبة له .

أما أن سكوت أفراد المجتمع عن المنكر وتركوه يستشري فيهم وتدنقل عدواه من شخص لآخر ، فإنه يسبب رتب على ذلك هلاك العاصين والمصلحين معا ، أما العاصون فيهلكون بمعصياتهم ، وأما المصلحون فيسكوتهم ، قال الله تعالى :

( واقفوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) وإن عدم القيام بالنهي عن المنكر ذنب كبير ، يصيب به صاحبه ملعونا مجرودا من رحمة ربه قال الله تعالى : ( لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا بعدهون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ) .

## ويستفاد من هذا الحديث ما يأتي : هـ

١. — توضيح الأمور المعنوية بالمحسوسة لتقريبها الى العقول .
٢. — صحة اجراء القرعة فيما يختلف الناس فيه من أمور .
- ٣ — مسئولية الفرد والجماعة والأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى : ( ولئن كن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ) .
- ٤ — شدة خطر المنكر ، وما يترتب عليه من عواقب وخيمة تشمل الصالح والطالح اذا ترك المنكر دون مقاومة ، ولم يأخذ الناس على أيدي أصحابه . عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية : ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ) . وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » ( رواه أبو داود والترمذي ) .
- هـ — ينبغي على المسلم أن يصبر على اذى جاره اذا خيف وقوع ما هو أشد ضررا .
- ٦ — جواز أن يتقسم العقار المتفاوت عن طريق القرعة . قال ابن بطال : والعلماء مختلفون على القول بالقرعة الا الكوفيين فانهم قالوا : لا معنى لها ، لأنها تنسب الانلام النى نهى الله عنها .

## المفلس يوم القيامة

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اندرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « ان المفلس من أمتى يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » رواه مسلم والترمذى .

ان الغاية المنشودة من العبادات في الاسلام ، أن تتركى النفس الإنسانية وتصفلها ، وتوثق صلة الانسان بخالقه ، وصلته بالناس على أساس من العقيدة الصحيحة ، والخلق الحسن ، فبالصلاة ينهى المسلم عن الفحشاء والمنكر ، وبالزكاة تترعرع اللفة بين القلوب ، وينمو الحنان والاحسان بين الناس وبالصوم يثمرس



الإنسان على الصبر وسائر خصال البر والقوى ، وبالحج يتم  
سائر الفضائل الدينية والأخروية التي تغرسها مناسكته في قلب  
المسلم ..

وهكذا نثمر العبادات في الإسلام ثمرتها ونؤتي أكلها ، إذ صدقت  
بها نية صاحبها ، وتعهدها بمعالجه نفسه ، وارتوت منها  
أحاسيسه ، أما إذا آداها مجرد عادة يقوم بها ، وأفعال جامدة  
لا روح فيها ، فلا وزن لها ، ولا ثمره نرجى من ورائها ..

وما أكثر ما نرى من بحرصون على العبادات وبظهورون بالمداومة  
عليها تم يفعلون ما ينافي مع روح العبادة ، وبقترفون ما لا يرضاه  
الدين . إن أمثال هؤلاء قد أدوا عباداتهم أشكالا هشة ، وكانوا  
كم من يحمل كثيرا من الدراهم ، وعليه أضعاؤها من الديون ، فإن  
حل وقت الأداء وجددها قليلة الجدوى ، أكثرها مزيف ولا يغني  
غتيلا .

إن الحديث يصور لنا حقيقة المفلس ، وأنه يكون معدوم النفع  
بين الناس ، قليل الخير ، كثير الشر في الدنيا . كما أنه في الآخرة  
هالك حاسر لا رصيد له من الخير ، حيث تؤخذ حسناته لغرمائه ،  
فإذا ما انتهت حسناته ولم نف بما عليه من حقوق ، أخذ من  
مسيئاتهم فوضع عليه ، ثم القى في النار ، فنتم خسارته ، ويصبح  
صفرا اليدين ، وما له في الآخرة من نصيب أما ما حسبته الناس  
من أن المفلس هو من لا درهم له ولا متاع ، فليس على حقيقته ،  
فإن من لا مال له أو من قل ماله ، قد يحصل على اليسار فينقطع  
أفلاسه ، أو قد يموت مثلا .. أما من لا رصيد له من الدين فهو  
الخاسر في الدنيا والآخرة . وذلك هو الخسران المبين .

وهكذا يتضح لنا كيف تؤدي الأخلاق السيئة بصاحبها الى مهاوى الهلاك . ومهما كثرت العبادات . . والعكس صحيح فان قليلا من العبادات الصحيحة الكاملة مع حسن الخلق تكفل النجاة لصاحبها؛ وفيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له يا رسول الله . ان فلانة تذكر من كنزها صلاتها وصيامها وصدققتها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ؟ فقال : هي في النار . ثم قال : يا رسول الله فلانة تذكر من قلة حسنتها وصيامها وانها تنصدق بالأنوار من الأقط — أى قطع الجبن — ولا تؤذى جيرانها ؟ قال : « هي في الجنة » رواه أحمد .

وخصال الشر : كالكذب في الحديث ، وخلف الوعد ، وخيانة الأمانة اذا اجتمعت في انسان اوردته موارد البوار ، وجعلته بعيدا عن جوهر الاسلام ، هالكا مع المنافقين ، حتى وان أدى العبادات وأظهر الاسلام ، قال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وان صام وصلى وحج واعتمر وقال : انى مسلم : اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا أؤمن حان » رواه مسلم .

الرد على شبهة ( المبتدعة ) ؟

زعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وهذا زعم باطل ، وفهم للحديث على غير مقصده ، ذلك ان معنى الآية : لا تحمل نفس آئمة ائمة نفس أخرى ولكن تحمل كل نفس وزرها ، بل ان حاولت نفس أنقلبت ذنوبها ودعت احدا لبخف عنها ويحمل بعض أوزارها فلن نجد من يجيئها حتى ولو كان ذا قربى ، « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » .

ولذا جاء بعد ذلك في الآية : « وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » .

وأما ما ثبت في الحديث فانه انما عوقب بما ارتكبه من ظلم وما عمله من عمل فلما أريد دفع ما عليه من حقوق لغرمائه أخذ من حسناته فلما فرغت حسناته وما زالت عليه حقوق أخذ من سيئاتهم فوضعت عليه ثم القى في النار وهذا على حسب ما اقتضيه الحكم الالهية فسيئات الخصوم التي تحملها الظالم هي بمقدار ما عليه من حقوق باقية وليست شيئاً زائدا فكانت العقوبة هنا بسبب الظلم ولم تحدث أبدا بغير جنائية .

وفيما رواه البخارى ما يؤيد هذا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ معه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

## مقاومة الإسلام للحسوبة والفرقة العنصرية

عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا اهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن يجنريء عليه الا اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : « يا ايها الناس انما ضل من قبلكم انهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » رواه الشيخان .

وقبل أن نتناول هذا الحديث بالبيان والتحليل نشير هنا — في ايجاز — الى أن الإسلام قد حرص على استتباب الأمن ، ونشر أسباب الوقاية من الاجرام والطغيان ، قبل اصدار قوانينه الخاصة بالعقاب ، وذلك بالأمر « بالعمل » ، ليشغل كل انسان بعمله ، فلا يبقى هناك مجال للتفكير في العدوان الذي ينتج عن البطالة ، كما كفل الاسلام حقوق الناس جميعا على مختلف طبقاتهم ، وفقر العدل والتواصي بالحق وقرر مساعدة المحتاجين الذين لا يجدون عملا ولا يستطيعون العمل ، فأثرت من تعاليم الاسلام أسس المبادئ الانسانية الرحيمة في التضامن الاجتماعي ، اخمادا لثورة الغضب والانتقام التي يكون مبعثها الشعور بالظلم .

بعد ذلك لم يبق للانسان من عذر في العدوان ، فاذا تمت كفاية

حقوقه على هذا النحو السابق ثم اعتدى ومد يده كان لا بد من فحص حالته حتى لا تكون هناك شبهة ، فإذا ما ثبتت ادانته بعد كل هذا ففي ذلك دلالة على أنه قد التأت فطرته ، وعميت أو تعامت بصيرته فلا بد إذا من الحاق العقوبة به ، وإقامة الحد عليه ، واستنفاضت الأحاديث النبوية الشريفة في طلب الحدود بصورة تجعل المسلمين يبادرون الى إقامة شريعة الله ، وتنفيذ حدوده التي شرعها ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الأرض بحقه أذكى فيها من مطر أربعين عاما » رواه الطبراني .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم » رواه ابن ماجه .

كما وضحت السنة الشريفة اثر ذلك بالنسبة للفرد والمجتمع وأنه ان لم نأخذ على يد الجاني يعم الهلاك ، وان أخذنا على يديه نجا الجميع .

والحديث الذي معنا يرسى قاعدة أساسية في المساواة بين الناس ، على ضوءها تحل مشكلة المحسوبية ، والتمييز العنصري بتطبيق عملي حازم ، لا تعرف الدنيا له مثيلا وبهذا نرى كيف كان للإسلام فضل السبق في إرساء قواعد الحق ، وتطبيق المبادئ السامية التي لا يفرق فيها بين إنسان وآخر . لا تمييز ولا محاباة ولا فضل إلا بالعمل الصالح ، قال الله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » وكان ورود هذا الحديث الشريف ، يوم فتح مكة عندما ارتكبت هذه المرأة المخزومية وهي فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد جريمة السرقة فرفع أمرها الى الرسول عليه الصلاة والسلام لإقامة الحد

فرمغ أمرها الى الرسول عليه الصلاة والسلام لاقامة الحد عليها - لحماية الدين والنفس والمال والعرض ، وهى الوسيلة الرادعة التى فى ظلها يأمن الناس ويرجع المجرمون عن اجرامهم حين يعلمون أنهم لو ارتكبوا فاحشة أو اعتدوا على حق ما أقبمت عليهم الحدود فينزعج كل باغ ويرجع عن بغيه خوفا من الحد ، هذا بالإضافة الى أن الحد لا يقام الا بعد بيان أن ذلك الباغى قد تفذت كل الوسائل معه واصبح يشكل خطرا داهيا على المجتمع فلا بد من استئصال شره وخطره .

« وفق الله مجتمعنا الى عمل الخير ، وخير العمل ، وجعل هذا العمل خالصا لوجهه نافعنا لمن يقرؤه ، وغفر الله لى ولوالدى وللسائر المسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

## فهرس

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
٩	الحاجة الى السنة
١١	مفهوم السنة
١٢	النسبة بين السنة والخبر والحديث القدسي
١٦	منزلة السنة في الدين
١٧	وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
٢١	منزلة السنة من القرآن وبيانها له
٢٦	ادلة القائلين بالاستقلال
٢٧	ادلة المنكرين للاستقلال
٣٠	حول حجية السنة
٣٦	شروط العمل غير الواحد
٣٨	الاطوار التي مرت بها السنة
٤٣	السنة في عصر الصحابة والتابعين
٤٨	تدوين السنة
٥٧	مهاذج من هدى الحديث النبوي

الصفحة	الموضوع
٥٨	الحلال والحرام
٦٤	صلة الرحم
٦٩	التحلل من المظالم
٧٤	منزلة العمل
٧٩	فضل الحياء
٨٣	القائم في حدود الله والواقع فيها
٨٦	المفلس يوم القيامة
٩٠	مقاومة الاسلام للمحسوبية
٩٣	فهرس الكتاب
٩٥	ما راك



## ما رأيك

— وبعد يا عزيزي القارئ الكريم ...

هذه رسالة اسلامية يقدمها لك المجلس الأعلى للشئون  
الاسلامية في الخامس عشر من كل شهر عربي ، فلعلها  
تحوز رضاك ، وترد على بعض الأسئلة التي تراودك ،  
وتدور بخلد كل مسلم غيور على دينه ، حريص على  
الاستزادة من مناهل الاسلام العذبة .

أكتب لنا بريك فيها ، وما يروقك من توجيهات تهدف  
— أولاً وأخيراً — الى خدمة أجل رسالة وأنتم هدف ..  
وثق أننا سنكون عند حسن ظنك وسنلبى طلبك ..  
وسنكون رسالتك موضع الاعتبار والتقدير فنرد عليها  
إذا كانت حرة بذلك .

والله نسأل أن يلهمك السداد والتوفيق .

على أن يكون خطابك متضمناً البيانات التالية :

الاسم : . . . . .

العنوان : . . . . .

الوظيفة : . . . . .

ويرسل الى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

القاهرة : ٣ شارع الأمير قدادار متفرع من ميدان التحرير

قسم الرسائل والتراث

مقتلح الاضزآام النجارفة

رقم الافة ٤٥١٤ / ١٩٧٦

الترقفم الدولف ٨-١٦-٢٤١-١٧٧ ISBN



بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية مصر العربية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قسم الرسائل والنشر

## الأحاديث القدسية (جزأنتى فى مجلد واحد)

يشتمل على الأحاديث القدسية الموجودة فى أمهات كتب السنة مثل:  
موطأ الإمام مالك، وصحيح البخارى، وصحيح مسلم، ومجامع  
الترمذى، وسنن أبى داود، وسنن النسائى، وسنن ابن ماجه  
واعتمد فى شرح الأحاديث على شرح  
الإمام النورى لصحيح مسلم، والعلامة القسطلانى لصحيح البخارى  
يقع الكتاب فى ٤٩٧ صفحة من القطع الكبير  
مزوداً بفهارس الأحاديث ورواتها  
من هذا المجلد ١١٠ قروش

محمد توفيق عويضة

يشرف على إصدارها

مراكز البيع



الثمن ٥ قروش